



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة -
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم: اللغة والأدب العربي



مناظرة أبي سعيد السّيرافي ومّتي بن يونس

- قراءة تداولية في خصائص المحادثة -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

إشراف الأستاذ الدكتور:

رزيق بوزغاية

من إعداد الطالبتين:

• حناشي حبيبة أنفال

• شابو شيماء

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
برباق ربيعة	أستاذة (ة) التعليم العالي	رئيسة
رزيق بوزغاية	أستاذة التعليم العالي	مشرفا و مقرا
حاج بن سراي	أستاذ محاضر - أ-	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة -
كلية الآداب واللغات الأجنبية
قسم: اللغة والأدب العربي



مناظرة أبي سعيد السيرافي ومثي بن يونس

- قراءة تداولية في خصائص المحادثة -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات الخطاب

إشراف الأستاذ الدكتور:

رزيق بوزغاية

من إعداد الطالبتين:

• حناشي حبيبة أنفال

• شابو شيماء

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
برباق ربيعة	أستاذة (ة) التعليم العالي	رئيسة
رزيق بوزغاية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقرا
حاج بن سراي	أستاذ محاضر - أ-	مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان

الحمد لله حمدا كثيرا الذي وفّقنا لإنجاز هذا العمل

واعترافا بالفضل و التقدير نتوجّه بالشكر لمن ساهم في تطيرنا

ووضعنا على الطريق الصحيح وخصّنا بالرعاية

(الأستاذ الدكتور رزيق بوزغاية)

بما قدّمه لنا من ملاحظات دقيقة وتوجيهات مهمة وإرشادات قيّمة زيادة على

تقويمه لزلّاتنا و هفواتنا فلم يبخل علينا بما لديه من معلومات لإثراء معارفنا

هو الذي قبل الإشراف على رسالتنا مما زادنا شرفا، فلولاه لما كانت مذكّرتنا ترى النور

ندعو الله العلي القدير أن يجازيه خير جزاء، وأن يديمه ذخرا للأجيال

كما نتوجّه بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة

على تكلفهم عناء القراءة في تقويمهم لهذا البحث

وما لتوجيهاتهم ونقاشهم من أثر كبير في إثرائه

ونتقدّم بخالص الشكر لكل الأساتذة الذين مررنا على يدهم في مشوارنا الدراسي

وساهموا في تكويننا شاكرين جهودهم

وكل من ساعدنا من موظفين وعمّال المكتبة وكل أعوان وإطارات الكلية.





إهداء:

إلى من كلَّه الله بالهبة و الوقار... إلى من علّمني
...العطاء دون انتظار

"إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..." والدي العزيز
إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب و الحنان و
...التفاني

إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود... إلى من كان دعائها
سرّ نجاحي

"و حنانها بلسم جراحي..." والدتي الحبيبة
"إلى أغلى ما أملك في هذه الدّنيا..." أخي محمد إياد
وفلذات كبدي أخواتي... "فاطمة سلسبيل"... "نور"
"إسراء"

إلى أختي التي أنجبتها لي الدّنيا... ورفيقة
مشواري... التي لولا تعاوننا
"وصبرنا لما اكتمل هذا الجهد" شابو شيماء
إلى صحبتي الصالحة... وصاحبات القلب الطّيب
"صديقاتي الغاليات: "آية، غنية، هنييدة

إلى عائلتي صغيرا وكبيرا
إلى كل من يؤمن أنّ العمل سبيل النجاح

الطالبة: حناشي حبيبة أنفال



إهداء:

"بسم الله خالقي و ميسر أموري و عصمت أمري، لك كل الحمد والامتنان"
أهدي هذا النجاح لنفسى أولاً ثم إلى كل من سعى معي لإتمام هذه المسيرة
دتمت لي سنداً لا عمراً.
إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل إلى من علّمني أن الدنيا كفاح و
سلاحها العلم و المعرفة، إلى من غرس في روحي مكرم الأخلاق داعمي الأول في
مسيرتي وقوّتي من بعد الله "والدي الغالي".
إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها إلى من كان دعائها سرّاً نجاحي و حنانها
بلسم جراحي، قدوتي و ملجئي و داعمتي "والدتي الغالية".
وإلى من شدّ الله بهم عضدي فكانوا خير معين إخوتي "ياسر، يحيى، و أختي
الغالية مريم".
إلى من ساندوني عند ضعفي وسقوني بالحبّ إلى من رسموا لي المستقبل
بخطوط من الثقة و الحب صديقاتي و حبيبات قلبي "نور، أسيل، غنية، زينب،
هنيدة"
و لن أنسى خالي الغالي "صدوق عبد الرحمان"
و أحبّ أن أختتم الإهداء إلى صاحبة الفضل العظيم صديقة الرّحلة و النجاح إلى
من وقفت جانبي كلما أوشتك أن أتعثّر وأستسلم، صاحبة الطاقة الإيجابية وإلى
من شاركتني أفراحي وأحزاني حبيبة قلبي
"حناشي حبيبة أنفال"
و أخيراً من قال أنا لها "نالها" و أنا لها و إن أبت رغماً عنها أتيت بها، ما كنت
لأفعل لولا توفيق من الله، ها هو اليوم العظيم هنا، اليوم الذي أجريت و سنوات
الدراسة الشاقة حاملة فيها حتى تواليت بمنّه و كرمه لفرحة التمام.

الطالبة: شابو شيماء



مقدمة

مقدمة

عرفت التداولية على أنها علم حديث كانت نشأته في الفلسفة الأمريكية تحت مسمى "البرجماتية" على يد "تشارلز بييرس"، ثم امتدت و انتشرت إلى أن وصلت إلى ضفاف أوروبا لينشأ بعد ذلك ما يعرف اليوم باسم "اللسانيات البرجماتية" على يد "إميل بنفيسيت" لتدخل فيما بعد إلى العلوم العربية ويقوم "طه عبد الرحمان" بترجمتها إلى ما يسمى اليوم بمصطلح "التداولية"، فقد أثارت اهتمام الباحثين لكونها تفتح على كثير من العلوم كعلم الاجتماع، وعلم النفس، واللسانيات، وتحليل الخطاب وغيرها من العلوم الإنسانية. وقد جاء هذا العلم ليخرج اللغة من بنيتها المغلقة ويجعلها تهتم بالمؤول لكونه العنصر الفاعل في الخطاب، ورغم أن معظم التعريفات تتفق على أن مفهوم التداولية هو: "دراسة اللغة في الاستعمال" إلا أن مفهومها الأصلي يدور حول دراسة التجارب المختلفة من حيث ارتباطها بسلسلة خبرات تفسرها تفسيراً تجريبياً وهذا ما أهملته الأبحاث الحديثة.

وكأي علم فإن للتداولية مجموعة قضايا تقوم بدراستها، أهمها "المحادثة" التي حملت داخلها عدّة مظاهر تداولية كالحجاج، وأفعال الكلام، والإحالات وغيرها، فالمحادثة مظهر من المظاهر الطبيعية لممارسة الكلام فهي تكون بين أشخاص واقعيين يحكمهم سياق معين، كما تحتوي المحادثة على جملة خصائص ومكونات تمثلت في: التفاعل، ومستويات الأدوار، والاقتصاد، واستغراق المظاهر التداولية.

ويُستقى من المحادثة ما يعرف بـ "المناظرة" التي هي فن أدبي ذو أسلوب حجاجي بين طرفين أو أكثر حقيقيين، حيث تركز على مجموعة من الضوابط و القواعد التي يجب مراعاتها، وقد وقع اختيارنا على مناظرة "أبي سعيد السيرافي ومثى بن يونس حول النحو والمنطق" التي تحمل في ثناياها مخزوناً معرفياً وعلمياً قيماً، كما تضمنت أبرز مظاهر التداولية وخصائص المحادثة والتي سيتم التعرض لها في هذا البحث.

تعرض المناظرة الكثير من المعلومات القيمة المتبادلة بين الشخصيتين البارزتين بحضور الوزير ابن الفرات وجماعة من العلماء والدارسين المهمين، ففي هذه المناظرة كان هنالك اختلاف آراء بين عالم النحو "السيرافي" وعالم المنطق "مثنى"، ومحاولة كل منهما إعطاء قيمة لعلمه فالموضوع الأساسي هنا يدور حول أفضلية النحو أم المنطق، وبما أن هذه المناظرة محادثة واقعية لشخصيات حقيقية في سياق حقيقي كانت المدونة النموذج

مقدمة

الأنسب للدراسة، كونها تحقق التواصل و التفاعل بين الشخصيات لتوفرها على الخصائص اللازمة للمحادثة، حيث جاء عنوان بحثنا كالآتي: " مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس _قراءة تداولية في خصائص المحادثة_ ".

يتمحور موضوع بحثنا حول إشكالية رئيسة هي: ما هي الخصائص التداولية في المناظرة؟ فيما تمثلت أهم الأساليب والقضايا والرؤى التي استخدمها كل من السيرافي ومتى بن يونس في مناظرتهم؟ كيف تجسدت عناصر المحادثة في مناظرة أبي سعيد ومتى بن يونس؟.

لعل من أهم الدوافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع، دوافع ذاتية تمثلت في: فضولنا واهتمامنا حول قضايا تحليل المحادثة، ولإعجابنا بالقيمة المعرفية لهذه المناظرة، حيث أنها تحمل أهم قضيتين كانتا محطّ اختلاف العلماء على مدار طويل، ولمعرفة أفضلية العلمين والعلاقة التي تجمعهما إن وجدت. ودوافع موضوعية تمثلت في: قلة الدراسات حول مناظرة أبي سعيد ومتى بن يونس باعتبارها مناظرة ذات قيمة معرفية وعلمية ولغوية، حيث عالجت أهم قضيتين عرفتها الدراسات اللغوية.

كما أن هذا البحث يسعى إلى تحقيق جملة أهداف منها: تحديد خصائص المحادثة في مناظرة السيرافي ومتى، وكيف كانت للبيئة الاجتماعية دور في بناء رؤية وأساليب خاصة لكل منهما من خلال إبراز أوجه الاختلاف بين العالمين.

بما أن هذا العمل يتعلق بدراسة المحادثة في مناظرة "أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس حول المنطق والنحو" على وجه الخصوص فما كان علينا إلا أن نعتمد على بعض الدراسات التي كانت مرجعا أساسيا لهذا البحث، و قد تمثلت في المقالات التي تناولت هذا النموذج نذكر منها: المقال الموسوم بـ "أساليب الاقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس (دراسة بلاغية)" لرشا عبد الظاهر محمد سيد، التي خصصت مقالها لدراسة أهم أساليب الاقناع التي وردت في مناظرة أبي سعيد ومتى معتمدتا في ذلك على منهج التحليل البلاغي، و كذا مقال "بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس نموذجا" لعبد الوهاب صديقي، حيث استثمر دراسات الباحث محمد مشبال في تبين الإمكانيات البلاغية والحجاجية للنص التراثي العربي معتمدا في ذلك على مناظرة أبي سعيد السيرافي

مقدمة

ومتى بن يونس لاحتوائها على قضايا بلاغية أهمها قضية النحو والمنطق وكذا اللفظ والمعنى، كما اعتمدنا على المقال الموسوم "بنية المحادثة ومكوناتها الأساسية" لعليك كايسة، والذي خصت فيه دراسة شاملة للمحادثة من حيث مفهومها وخصائصها ومكوناتها وبنيتها بعدّها أهم عناصر تحليل المحادثات.

وقد تمّ الاعتماد في هذه الدراسة على المقاربة التداولية، وذلك من أجل الإطلاع والتّعرف على أهم قضايا التداولية التي حوتها المناظرة، وكذا معرفة كيف تظهر بواصر التداولية في المحادثة عامة والمناظرة خاصة .

لذلك كان بناء دراستنا معتمدا على خطة مكونة من: مدخل، فصلان، خاتمة. حيث جاء المدخل بعنوان: "مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة، تطرقنا من خلاله إلى تعريف التداولية في المعاجم العربية وفي الدرس الحديث لاكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ثم انتقلنا إلى المحادثة بعدّها موضوعا للتداولية وقضية من قضاياها وقد أخذنا في هذه الجزئية مفهوم المحادثة وتحليلها وكذا نشأة المحادثة وخصائصها وأهم القضايا التي تعتمد عليها، إضافة إلى تعرّفنا على العلاقة التي تربط بين المحادثة والمناظرة بعدّ هذه الأخيرة نموذج لدراستنا.

وجاء الفصل الأول بعنوان: "الخطاب و صاحبها الخطاب" وقد ضمّ مبحثين: الأول بعنوان "دراسة في مرجعيات الخطاب عند أبي سعيد السيرافي" الذي حوى ثلاث مطالب: المطلب الأول بعنوان " حياة أبي سعيد السيرافي" وفيه أبرزنا أهم جوانب حياته الشخصية والعلمية، والمطلب الثاني جاء بعنوان "قضايا المناظرة عند السيرافي" الذي يبحث في أهم القضايا التي ذكرها السيرافي أثناء مناظرته لخصمه، والتي أثبت من خلالها سعة معرفته واطلاعه عليها. أما المطلب الثالث فجاء بعنوان "أساليب ورؤية السيرافي في المناظرة"، الذي تضمن أهم الأساليب التي استخدمها السيرافي لإقناع خصمه والجمهور الحاضر، وكذا رؤيته التي أدلى بها عن كل من المنطق والنحو.

أما عن المبحث الثاني جاء بعنوان: "دراسة في مرجعيات الخطاب عند متى بن يونس"، والذي حمل أيضا ثلاث مطالب: الأول موسوم ب " حياة متى بن يونس" الذي تعرّفنا فيه على هذه الشخصية البارزة في عصرها، مع تقديم أهم إسهاماته العلمية، والمطلب الثاني

مقدمة

بعنوان "قضايا المناظرة عند متى بن يونس" أشرنا فيه إلى أهم القضايا التي شارك بها متى في مناظرتة، والمطلب الثالث بعنوان "أساليب ورؤية متى بن يونس في المناظرة" الذي تحدثنا فيه عن الأساليب البارزة في حوار متى مع خصمه، وكذا رؤيته هو الآخر لكل من قضيتي المنطق والنحو.

أما عن الفصل الثاني جاء معنونا بـ "البنية العامة للمحادثة ومكوناتها"، والذي شمل مبحثين: الأول بعنوان "خصائص المحادثة" متمثلة في: التفاعل، الاقتصاد، مستويات الأدوار، واستغراق المظاهر التداولية، التي تعرّفنا عليها وأسقطناها على نموذج المناظرة. أما المبحث الثاني جاء بعنوان "مكونات المحادثة" الذي يدرس أهم تلك المكونات ودرجة حضورها في "مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس"، وقد قسمناه إلى أربع مطالب تتمثل في: التفاعل، والمتوالية، والتبادل، والتدخل .

وفي آخر البحث خصصنا له خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

وكأي بحث علمي جديد يتعرض صاحبه لبعض الصعوبات التي كانت بمثابة الحافز لنا على المضي قدما في إنجازه نذكر منها: ندرة المصادر والدراسات التي اهتمت بجانب المحادثة من حيث خصائصها ومكوناتها، وكذا قلة التطبيقات التي أخذت هذه المناظرة كسند لها، غير أن هذا لم يقلل من عزمنا بل زادنا إصرارا على البحث والتعمق في حيثيات هذا العمل، والوصول إلى هدفنا المرجو من خلال تقديم هذا العمل المتواضع وذلك بإشراف أستاذنا المشرف "الأستاذ الدكتور رزيق بوزغاية" الذي كان لنا خير مرافق ومعين، ونحيي فيه صبره كما نقدر له سعة اطلاعه وثروته العلمية والفكرية، وفي نهاية مقدمتنا نسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد، ويجعل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم.



مدخل:

مفاهيم أساسية

في التداولية

والمحادثة

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

يهتم هذا المدخل بدراسة مفهوم "التداولية" أو "البرجماتية" التي كانت ولادتها في نهاية القرن التاسع عشر في "أمريكا" على يد "تشارلز بيرس"، حيث كانت تعد من أهم الإسهامات في الخطاب الفلسفي المعاصر، ورغم تعدد تعريفات هذا العلم إلا أنه لا مناص لنا أن نعترف بأن هذه الفلسفة قد تغيرت دلالاتها الأصلية بعض الشيء بسبب كثرة الدراسات والتأويلات، ولعل أحد أهم أهداف هذه الدراسة هو محاولة الوصول إلى الفكرة الأساسية والتعريف الذي يعبر عن الهدف الذي يصبو إليه الدرس التداولي، كما سنخرج في هذا المدخل على مفهوم التداولية وكيف تم تعريف هذا العلم الجديد لنلاحظ أوجه التشابه والاختلاف بين تلك التعريفات . وكأي علم فإن للتداولية عديد من القضايا التي تدرسها أو بالأحرى تقوم عليها وأهمها الحجاج، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري والإشارات، وقد اتخذنا المحادثة بوجه خاص لنركز عليها دراستنا باعتبارها أحد أهم تلك القضايا التي تقوم على أساس براغماتي والذي نجده يظهر تحت عديد من التسميات منها : تحليل المحادثة، أو تحليل الحديث، أو تحليل الخطاب، وغيرها .

1 . التداولية :

1 . 1 . مفهوم التداولية في المعاجم العربية :

على الرغم من الاختلاف بين التعريف الاصطلاحي واللغوي للمصطلحات إلا أن هنالك علاقة وطيدة بينهما مما يسهل عملية الفهم ويقربه للذهن وعلى هذا فالتداولية لغة هي: ((تداولنا الأمر: أخذناه بالدُّولِ، وقالوا: دواليك أي: مداولة على الأمر... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي : أخذته هذه مرة وهذه مرة...وتداولنا العمل و الأمر بيننا بمعنى : تعاورناه فعمل هذا مرة و هذا مرة))¹.

وجاء أيضا في معجم أساس البلاغة للزمخشري : ((دَوَّلَ: دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بين فلان من عدوهم، جعل الكثرة لهم عليه... وأدبل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأدبل المشركون على المسلمين يوم أحد ... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم ... و تداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما))² . من خلال التعريفين السابقين في المعاجم العربية للجذر "دول" يلاحظ أن المعنى اللغوي لا يخرج عن الانتقال والإعارة والتحول والتوالي.

1 . 2 . التداولية في الدرس الحديث :

لقد تعددت وتباينت المعاني الاصطلاحية لمفهوم "التداولية" فقد مرّ هذا المصطلح بتطور دلالي منذ نشأته، حيث ظهر مصطلح التداولية مع "تشارلز موريس" (Charles morris) سنة 1938م، لكن تطوره كان على يد "جون أوستن" (J. Austin) و"سيرل" (Searle)، و"غرايس" (Grice)، الذين كانوا ينتمون إلى مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية (Natural language) لكنهم لم يستعملوا مصطلح التداولية في أبحاثهم³.

¹ محمد بن مكرم بن المنظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، مج 11، ط3، 1994 ، ص 252 ، 253.

² الزمخشري : أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ج 1 ، ص 303.

³ محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ط1 ، 2002 ، ص 10.9

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

هذا وقد عرّف "تشارلز موريس" التداولية بأنها: ((جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، و مستعملي هذه العلامات))¹، فيما أن "موريس" هو أول من جاء بمصطلح "التداولية" فيعتبر تعريفه هذا من أقدم التعريفات، و قد أشار فيه إلى أن الدرس التداولي فرع من فروع السيميائية فهو يهتم بعلاقة العلامة بمؤولها (مستعملها).

كما يذهب "فرانسيس جاك" (F . Jacque) إلى أن التداولية: ((دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية و تواصلية واجتماعية، في نفس الوقت))²، فالتداولية عنده تهتم بدراسة اللغة في الجانب الاستعمالي لها .

وقد رصد تعريف آخر للتداولية أتى به "آن ماري" و "ديلر وفرنسوا ريكانتي" (A.M.) Diller and F. Recanti وهو: ((أنها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب و تنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي))³، اذا هي علم يهتم باللغة واستعمالها في الواقع الاجتماعي و يحقق التواصل بين طرفي الخطاب.

وبعد هذه الدراسة لمصطلح "التداولية" تبين أنها عبارة عن نشاط لغوي وتفاعل ينشئ تواصل بين المتخاطبين وأنها دراسة لهذا النشاط، وهذا ما قد جاء به "ديبوجراند" في قوله أن: ((يتم تصنيف الجانب الاستعمالي للغة تحت مفهوم التداولية Pragmatic))⁴ لكننا إذا عدنا إلى كتابات "بيرس" عن النظرية البرجماتية التي ترجمها طه عبد الرحمان إلى التداولية ((يتبين أن البرجماتية هي مذهب في نظرية المعرفة تنشأ من المعرفة و تختزل في العلامات، وأن تأويل العلامات بعد ذلك إنما يعتمد على تجربة المؤول نفسه))⁵، فالتعريف الذي قدمه "دي بوجراند" يعتبر اختصاراً للدلالة الحقيقية التي تحملها التداولية فالمعرفة ناتجة عن التجربة، والتجربة هي تفاعل الذات الملاحظة مع الموضوعات (الأشياء) ((إذ إن الاستعمال نفسه ليس إلا نتيجة للخبرة وعليه فإن الخطاب المنتج هو عينة سلوكية تعكس

¹ فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي ، دط ، ص 5 .

² فيليب بلانشيه : التداولية من أوستن إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 18 . 19 .

⁴ روبر دي بوجراند : النص و الخطاب و الاجراء ، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ، ط2 ، 2007 ، ص 83 .

⁵ Charles S. Peirce : What Pragmaticism is , The Monist 15/2 , April, 1905, نقلًا عن رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020، ص 39 . . p.161_181

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

تجربة المستعمل نفسه)¹، فنجد أن أغلب الدراسات الحديثة قد أهملت عنصر التجربة الذي عدّه الكثير من العلماء البرجماتيين أمثال "بيرس" و "موريس" أداة ضرورية لفهم طريقة استعمال اللسان البشري .

1 . 3 . التداولية عند العرب المحدثين:

بالرغم من أن "التداولية" أو "البرجماتية" مذهب فلسفي حديث ظهر مع اللسانيين الغربيين، إلا أنه قد حلّ ضيفا على العلوم العربية أيضا وكان للغويين العرب الرأي فيه. حيث نجد "مسعود صحراوي" في تعريفه للتداولية يقول: ((هي مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية واضحة" و "ناجحة"، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية... الخ))²، نجد أن "مسعود صحراوي" قد صنف التداولية على أنها مذهب لساني رغم أنها _ وكما عرفنا سابقا _ مذهب فلسفي ونظرية في المعرفة، فقد ركّز في تعريفه هذا على كون التداولية تحمل معنى الاستعمال و التفاعل لينشئ تواصل بين المتخاطبين ويظهر ذلك في تعريفه أيضا: ((هي علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال و يدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره))³، فالتداولية عنده إذن هي دراسة للجانب الاستعمالي للغة، فهي لا تهتم بدراسة اللغة في حد ذاتها، بل بدراسة الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال والتخاطب الفعلي أي التواصل.

وفي تعريف آخر للتداولية يقول صلاح فضل: ((التداولية هي العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلم))⁴، فالتداولية عنده تهتم بتوفر شروط الكلام لكي يتحقق التواصل الناجع.

¹ رزيق بوزغاية : كتاب التداوليات، ص 67 .

² مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت ، لبنان، ط1 ، 2005، ص5 .

³ مسعود صحراوي : المرجع نفسه ، ص 16 .

⁴ صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النص ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت، دط، 1992، ص20.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

ومن خلال التعريفات السابقة نرى أن اللغويين العرب قد ركزوا في دراستهم على فكرة استخدام الظواهر اللغوية والتفاعل معها في الدرس التداولي، وربطوا هذا الأخير بفكرة استعمال اللغة فالتداولية عندهم تهتم ((بكيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث))¹، وذلك راجع إلى المخزون الثقافي والتجربة الخاصة التي يمر بها المتلقي .

يمكن أخيرا أن نخلص إلى أن مفهوم "التداولية" أو "البرجماتية" متشعب وواسع، ورغم أن أغلب الدراسات تتفق على أنها مجرد دراسة اللغة في الاستعمال إلا أنها تتعدى ذلك بكثير، فالبرجماتية تظهر أساسا في التجارب المختلفة من حيث ارتباطها بسلسلة خبرات تفسرها تفسيراً تجريبياً²، ويمكن القول أن هذا الجانب قد أهملته الدراسات الحديثة التي تناولت هذه الفلسفة التي أقرّ بها "بيرس"، وركزت بشكل واسع على دراسة الفعل اللغوي، ولذلك يجب إعادة النظر والتدقيق في هذا الدرس ومعرفة المعطى الصحيح والدقيق الذي تهتم به وتعتمد عليه وهو أن ((دراسة معنى العبارة اللغوية يكمن في التجسيد السلوكي لها، لا أن السلوك هو معناها الحقيقي، بل لكونه ترجمة للتجربة أو الخبرة))³، فالإنسان بطبعه يكتسب تفاعله مع محيطه من خلال تجاربه و ما عاشه سابقا، فالمعنى في البرجماتية يظهر من خلال سلوك الفرد تجاه ما يتعرض له من مواقف.

2. المحادثة موضوعا للتداولية:

كان جوهر تطور الدرس اللساني في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما شهد خلالها تطورات كبيرة حيث ابتعد عن دائرة الاكتفاء بدراسة بنية النص الداخلية، لينتقل إلى دراسة استعمال اللغة، وكان لهذا الانتقال الجذري دورا كبيرا في تطوير الدرس اللساني وظهور العديد من القضايا والظواهر اللغوية، ولعلّ أحد أهمها ما يعرف بتحليل المحادثة الذي يهدف لدراسة الخطابات الشفهية الواقعية التي تحدث بين طرفين أو أكثر.

¹ جيلالي دلاش : مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة كلية معاهد اللغة العربية وآدابها ، تر: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر ، 1992، ص1.

² رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 43.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

2. 1 . مفهوم المحادثة في المعاجم العربية :

قبل الخوض في دراسة تحليل المحادثة وقضاياها علينا أولاً أن نعرج على مفهوم المحادثة في المعاجم العربية لنربطها فيما بعد بمعناها الاصطلاحي عامة، و بظاهرة تحليل المحادثة خاصة.

حيث جاء في معجم لسان العرب لابن منظور، المحادثة: ((مشتقة من الفعل الثلاثي "حدث"، والحديث: الخبر، ويأتي على القليل و الكثير و الجمع : "أحاديث"، وقد قالوا في جمعه: حَدَثَانٌ وَحَدَثَانٌ... والحديث: ما يحدِّثُ به المُحدِّثُ تحديثاً وقد حَدَّثَهُ الحديثُ وَحَدَّثَهُ به، وفي قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾¹، أي بَلِّغْ ما أرسلتُ به))¹، فالمحادثة هنا تعني الخبر والتبليغ بأمر ما من خلال الحديث الذي يدور بين المتحدث والسامع. ويعرّف الفيروز أبادي المحادثة بقوله: ((المحادثة: التحدث... والأحدوثة: ما يُنَحَدِّثُ به ورجل حَدَّثَ وَحَدَّثَ بضم الدال وكسرهما : أي حسن الحديث))²، فالمحادثة في هذا التعريف تعني الكلام الذي يقال بين طرفين، و تدل أيضاً على حسن الكلام و قوامه.

فالمحادثة في المفهوم اللغوي لا تخرج عن دائرة التبليغ والإخبار وإيصال أمر ما، يكون ذلك بين طرفين أو أكثر في إطار الواقع.

2. 2 . المحادثة و تحليلها في الاصطلاح:

مع ظهور الفلسفة البرجماتية _التداولية_ إزداد الاهتمام باللغة في جانبها التفاعلي والتواصلية للمنطوقات بعد أن كان الاهتمام منصبا على النص باعتباره أحد أهم الأشكال اللغوية، لينتفت فيما بعد الباحثين للإهتمام بالشكل الطبيعي للتواصل بين الأفراد وهو "المحادثة" (Conversation) وهي تفاعل بين ملفوظات مختلفة حاصلة بين مجموعة أفراد بشكل دوري، ومنه أزيلت الحواجز التي كانت تقف بين النص المحادثة لتصبح هذه الأخيرة محط اهتمام الباحثين والدارسين.

¹ ابن منظور: لسان العرب ، ط1،ص797، مادة (حدث)

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مج1، دط، 1429هـ/ 2008 م، ص336، مادة (حدث)

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

المحادثة هي التجسيد الواقعي لتواصل الأفراد في الحياة الواقعية، وهي تحدث من طرف أشخاص حقيقيين يتواجدون في مقام أو مقامات حقيقية، وعلى هذا الأساس فإن المحادثة هي ظاهرة تداولية بامتياز وهي في الوقت نفسه المظهر الطبيعي الذي تتجسد فيه اللغة¹. ولعل ذلك يظهر جليا في تعريف "قولفانج فيهقجر" (Wolfgang Viehweger) حين قال: ((المحادثة جزء بارز في تلك الأنشطة اليومية التي تكون أساس عالمنا الاجتماعي فالنص أو المحادثة هو مثل أي نشاط إجتماعي آخر، إنتاج تفاعلي يحدد فيه شركاء المحادثة أنشطتهم اليومية باعتبار أنشطة من نمط معين ثم توضح تلك بشكل متبادل ويحصل التفاهم من خلال أنشطة مشتركة ومتناسقة، ومن خلال الأنشطة يركز شركاء المحادثة أنفسهم وبصورة متبادلة على خطوات أولية مستتعبة محددة، يتوقف تفسيرها على هذه الأنشطة))²، فالمحادثة تظهر بشكل خاص في النشاطات الاجتماعية التي تكون متبادلة بين شركاء المحادثة في نشاطاتهم اليومية فتكون في صيغ مفهومة بين المتكلمين. وهذا ما نجده عند "فان دايك" أيضا فيقول: ((المحادثة وحدة تفاعل إجتماعية تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث (لغوية)، وتحدد ارتباطا بسياق إجتماعي وعلى النقيض من ذلك فمن الأخرى أن يعد الحديث تجريدا لغويا أو نظريا نصيا، كالوحدة النصية التي تتشكل في سلسلة منتظمة من المنطوقات التي تتجلى في المحادثة))³، فقد اعتبر المحادثة سلسلة لغوية تشبه الوحدة النصية ذات عناصر متتالية من المنطوقات متمثلة في المحادثة. إذن فالمحادثة عنده عبارة عن نصوص ينتجها متحدثون مختلفون يتبادلونها فيما بينهم وهي ((صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي التي ترتبط بمفاهيم مثل: الأدوار والوظيفة والحالة وعلاقات اجتماعية متشعبة))⁴، فالمحادثة لا تخرج عن الإطار الاجتماعي الذي يشترك فيه مجموعة من المتحدثين يتبادلون الأدوار فيما بينهم للقيام بهذه العملية. فالحديث هو الشكل الوحيد للتفاعل

¹ رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص114

² قولفانج هاينه مان ديتر فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص 83.

³ تون. فان دايك: علم النص مدخل متعدد الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م، ص375.

⁴ تون. فان دايك: المرجع نفسه، ص345.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

الفعلي بين الأفراد¹، وهي عبارة عن نصوص ينتجها متحدثون مختلفون يتبادلونها فيما بينهم.

وهناك من الدارسين من يرى أن الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي هي الفعل الكلامي، لكن "جرهارد هلبش" يرى خلاف ذلك فيقول: ((إن الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي ليست الفعل الكلامي، بل المحادثة، وأن الفعل الكلامي ليس إلا مقولة تحليل داخل علم لغة براغماتي مؤسس على نظرية المحادثة، وخلافا لذلك يسعى "فوندرليش" بالأحرى إلى ربط نظرية الفعل الكلامي بتحليل المحادثة حين يربط الإسهام في الكلام بالفعل الكلامي. ويتوقع من تحليل المحادثة بوصفه أساس المادة استمرار تطور نظرية الفعل الكلامي))²، فقد جعل "جرهارد" المحادثة الوسيلة الأساسية للتواصل اللغوي، وأن الفعل الكلامي ما هو إلا أداة تابعة لعلم اللغة الذي يقوم أساسا على نظرية المحادثة.

أما تحليل المحادثة فهو ((يفهم أيضا على أنه مجال فرعي جديد لعلم لغة قائم على أساس براغماتي و يظهر تحت مصطلحات مختلفة: تحليل الحديث، تحليل المحادثة، أو تحليل الخطاب، أو تحليل الحوار، ويتوارى خلف هذه المصطلحات المهمة الأساسية العامة في مقابل إهمال لغة شفوية في علم اللغة التقليدي))³، فتحليل المحادثة جزء من علم اللغة وهو يحمل صفات براجماتية تداولية بارزة، ليضيف أيضا: ((كان المنطلق في ذلك الفهم الكائن إن التواصل في جوهره يجري حواريا وأن الوحدة الأساسية للتواصل اللغوي (الكلام الإنساني) هو المحادثة (Gesprach) وليس الكلمة ولا الجملة ولا النص، وليس الفعل الكلامي أيضا ولما كانت المحادثة تشترط شريكين للتواصل، يتبادلان في أدوار المتكلم وأدوار السامع فإن العلاقة المتبادلة بين المتكلم والسامع (من المبادرة بالموضوعات وقبولها) السمة البارزة للمحادثة (الحديث))⁴، فقد توصل "جرهارد هلبش" إلى أن الوحدة الأساسية التي تقوم عليها عملية التواصل الإنساني هي المحادثة لا غير، من خلال عملية دائرية

¹ تون. فان دايك: علم النص مدخل متعدد التخصصات، ص 345.

² جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2007، ص 347-348.

³ المرجع نفسه، ص 341.

⁴ المرجع نفسه، ص 341.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

متبادلة بين مستعملي الحديث، وهي تملك الصفات البرجماتية التي تضمها لعلم اللغة تحت ما يعرف بتحليل المحادثة.

نخلص أخيرا إلى أن المحادثة أحد أهم الوسائل التي يستخدمها الإنسان لتبادل الأفكار والمعلومات والآراء والمشاعر، من خلال استخدام ألفاظ وعبارات مناسبة تحقق وظيفة التواصل، وتحليل المحادثة هو المنهج والعملية المساعدة لدراسة وتقييم تلك النقاشات والحوارات التي تحدث بين الأفراد والجماعات بغرض تحليل المضمون والسياقات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على تلك المحادثات، دون الوقوف عند دراسة النص فحسب كبنية لغوية مستقلة، و الالتفات إلى الاهتمام بالدرس اللغوي أثناء الاستعمال.

2. 3. بين المحادثة والمناظرة:

علمنا أنفا أن المحادثة هي أهم شكل من أشكال التواصل البشري عامة و الاجتماعي خاصة، وتعدّ الشكل الطبيعي الذي يربط مستعملي اللغة بعضهم ببعض، كما أنها عبارة عن تبادل دوري للمفوضات يشارك فيه كل طرف أفكاره وآرائه وثقافته. فما هي العلاقة إذن التي تربط بين المحادثة والمناظرة، وهل هنالك فرق بينهما؟.

بداية سنتعرف على المناظرة من حيث بدايتها و مفهومها لنصل للرابط الذي يجمعها بالمحادثة. كانت المناظرة وليدة البيئة الجدلية التي تشبع بها الفكر العربي في القرون الأولى للهجرة، وهي بوصفها فنا تحاوريا راقيا لها أصول وشروط علمية مرتبطة بالخصومة والجدل، وقد كانت هذه البيئة الثقافية معقلا مهما لنشأة هذا النوع من الخلاف العلمي بين البصريين والكوفيين، أساسها مجادلات الفقهاء والمتكلمين و الفلاسفة،¹ يقول طه عبد الرحمان في كتابه "الحوار أفقا للفكر" أنه: ((كانت هنالك مجالس تعقد في حضرة بعض الحكام نقلها لنا المفكر المشهور الملقب بأديب الفلاسفة "أبو حيان التوحيدي"، إذ يروي لنا وقائع هذه المجالس التي كانت تلتقي فيها كل العقائد الممكنة، و كان الحوار قائما بينهم على أسس أخلاقية وقواعد منطقية مضبوطة))². فالمناظرة فن تحكمه قواعد وشروط وأصول على

¹ سعاد معمر شاوش: مفهوم المناظرة في الخطاب النحوي و آلياتها الاستدلالية_ مناظرة الجرمي و الفراء في العامل المعنوي أنموذجا_، مجلة اشكالات في اللغة و الأدب، مج8، عدد5، الجزائر، 2019، ص569.

² طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت_ لبنان، ط1، 2013، ص32.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

المتناظرين التحلي بها، وهي ظاهرة قديمة تميز بها العرب القدامى حيث كان يجتمع فريقين ويتناقشان في موضوع معين منهم من يؤيد ذلك الموضوع ومنهم من يعارضه، بصدد الوصول إلى نتيجة محددة، وكل هذا يكون في إطار تلك القواعد المضبوطة المبنية على الأخلاق والقيم الفاضلة، ويظهر هذا في تعريف عبد اللطيف سلامي في قوله: ((تجرى المناظرة بصفة عامة أمام جمع من الناس بشكل محاورة بين شخصين أو فريقين من ذوي المعرفة القادرين على الحديث عن موضوع معين، وتقوم المناظرة على أساس رأيين أو اتجاهين متعارضين حول موضوع أو مشكلة عامة، وتأخذ شكل مناقشة بين جانبيين يمثل كل منهما رأياً يختلف عن رأي الطرف الآخر في القضية موضع النقاش... فالمناظرة حوار متبادل بين فريقين من المتحدثين يمثلان اتجاهين مختلفين حول قضية معينة، و يسعى كل منهما لإثبات وجهة نظره والدفاع عنها بشتى الوسائل))¹، وفي تعريف آخر لها هي: ((المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وابطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق))²، بناء على ما تقدم يتبين أن المناظرة عبارة عن محاورة بين طرفين أمام جمع من الناس، كل طرف فيها يود إثبات صحة مقولته أو موضوعه الذي يتناقش به مع غيره . فالمناظرة نوع من الأسلوب الحجاجي لها بنية معينة يجب التقيد بها والالتزام بقواعدها، حيث يقول طه عبد الرحمان أنه ((من يخرج عن هذه الضوابط يقال عن كلامه أنه "غير مسموع" أي غير مقبول، فلم تكن المناظرة طريقة أو منهجا لتصحيح المعرفة فقط، بل كذلك وسيلة لتحصيلها والزيادة فيها))³، فهو يقرّ بضرورة الالتزام بقواعد هذا الأسلوب من المحاورة لكي يعدّ الكلام فيها صحيحاً ومقبولاً، فمن خلالها تقدّم المعرفة و تكتسب في الآن نفسه.

كذلك نجد الكثير من الدارسين من يعتبر فن المناظرة نوعاً من أنواع الجدل لكن هذا الرأي خاطئ بالنسبة لغيرهم حيث يقول عبد الرحمان ((قد أخطأ الكثيرون عندما خلطوا المناظرة بالجدل و جعلوا غاية التناظر هي طلب النصر و الغلبة على الخصم، بينما

¹ عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة ، مراجعة: حياة عبد الله معرفي ، دار بلوميزيري _مؤسسة قطر للنشر، الدوحة _ قطر، ط1، 2014، ص43، 44.

² الشنقيطي محمد الأمين : آداب البحث و المناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية، ج2، دط، دت، ص139.

³ طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر، ص33.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

المناظرة هي أصلا البحث المشترك طلبا للصواب، سواء أظهر هذا الصواب على يد (المعتقد أو المدعي) أم ذلك (المنتقد أو المعارض) ¹، فالمناظرة ليست مجرد نقاش عقيم أو جدل غير مجدّ، بل هي أسلوب قريب للحجاج له بنيته المحددة وقواعده التي تحكمه وتسيطر على بنائه إضافة إلى القواعد و الخصائص التي يجب أن يتحلى بها كل من المتناظرين.

إن المناظرة إذا هي أحد أقدم الفنون وتعد مظهرا من مظاهر النهضة الفكرية والحضارية²، فيمكن القول أن فن المناظرة يعدّ جنسا من أجناس المحادثة لكنها تختلف عنها في بعض النقاط وتشارك معها في نقاط أخرى. حيث يكمن الاتفاق بينهما في أن كليهما يبني على التواصل والتحاور بين مجموعة أفراد حقيقيين يجمع بينهم مقام وسياق وموضوع محدد و كل ذلك يكون في إطار الواقع ولا يخرج عنه.

أما عن أوجه الاختلاف بينهما فيمكن استنتاجها مما تقدم من تعريفات وحصرها فيما يلي: تعد المحادثة المظهر الطبيعي الذي تتجسد فيه اللغة فهي تظهر في النشاطات اليومية التي تكون في عالمنا الحقيقي في إطار اجتماعي بحت، كما تعتبر المحادثة سلسلة لغوية تحصل بين مجموعة أفراد حقيقيين بشكل دوري تكون في صيغة تفاعل بين الملفوظات.

أما المناظرة فهي فن تحاوري راقى، له أصوله وشروطه العلمية، يقوم على قواعد أخلاقية ومنطقية مضبوطة وغالبا ما تكون أمام جمع من الناس ذو كفاءة علمية يتحاورون حول موضوع معين، وينقسم فيها المتحاورون إلى فريقين أحدهما مؤيد لفكرة ما، والآخر معارض لها فهي تعدّ وسيلة لتحصيل وزيادة المعرفة، أكثر منها وسيلة للحديث فحسب.

من خلال ما سبق نخلص إلى أن المناظرة تعدّ أسلوبا من المحادثة الراقية التي تكون بين أناس معينين في مقامات معينة، يتحدثون حول موضوع محدد، تحكمهم قواعد و قوانين تنظم الحديث الحاصل بينهم، وباختلال تلك القوانين يكون كلامهم غير مسموع أي غير

¹ طه عبد الرحمان : الحوار أفقا للفكر، ص33.

² باشا العيادي: فن المناظرة في الأدب العربي دراسة أسلوبية تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع، عمان_ الأردن، ط1، 2014، ص63.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

مقبول، فنجد المناظرة تقترب إلى الحجاج أكثر من الأساليب الأخرى، فيمكن اعتبار المناظرة محادثة تختلف عن المحادثة العادية من خلال تلك القواعد والضوابط التي تبنى عليها.

3. تطور تحليل المحادثة وخصائصه:

بعد الاطلاع على مفهوم المحادثة وتحليلها سنحاول تتبع آثار هذه النظرية بالعودة إلى جذور نشأتها و التعرف على خصائصها و قضاياها وعلاقتها بالتداولية.

3. 1. نشأة تحليل المحادثة و تطوره:

نشأ مجال تحليل المحادثة من الدراسات الاجتماعية التي ظهرت في الستينات من القرن 20 في "كاليفورنيا" على يد "ه. غرفنكال" من خلال تيار يسمى "الأثنوية المنهجية" وهو تيار في علم الاجتماع، تولد عنه "التحليل التحادثي" وهي حركة تعطي مكانة مركزية لوجهة نظر الفاعلين الذين يعاينون في حياتهم اليومية¹، فهي تعكس التكوين المجتمعي ومن شأنها أن تكشف عن خبايا الظاهرة الاجتماعية. فارتكز الاهتمام باللغة المنطوقة فصارت موضوعا متصدرا في علم اللغة، ثم تأسس في سبعينات القرن الماضي في جمهورية ألمانيا الإتحادية "تحليل المحادثة" كاتجاه مستقل بذاته، ((فقد كان تحليل المحادثة مرتبطا بالنحو التقليدي وعلم اللهجات في البداية في الغالب بالفروق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، وعملت في بادئ الأمر بمنهج إحصائي استقى من البحث الاجتماعي التجريبي ووضعت فيما بعد المنطوقات اللغوية))²، بمعنى أن نظرية تحليل المحادثة مرتبطة بعدة علوم أهمها: علم الاجتماع، علم اللهجات... التي ارتكزت في البداية على إيجاد الفروق بين اللغتين المكتوبة و المنطوقة لكن استقر البحث فيما بعد على المنطوقات اللغوية ((لم يكن جديدا فحسب نقل اهتمام البحث من النظام إلى الاستخدام ومن اللغة المكتوبة إلى اللغة المنطوقة... و بعد أن تصدرت في البداية اللغة المنطوقة بشكل إجمالي الاهتمام (بوصفها كلاما مصاغا بحرية و فوريا في مواقف طبيعية للتواصل) فقد صار واضحا فيما بعد أن خصائص اللغة المنطوقة يجب أن تميّز فيما يتعلق بورودها في مواقف معينة للمحادثة وبهذه الطريقة يحقق في بحوث اللغة المنطوقة الانتقال من النظام إلى الاستخدام ومن

¹ باتريك شارودو و دومينك منغنو: معجم تحليل الخطاب تر: عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس دط، 2008، ص228

² جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، ص342

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

الجملة إلى النص أيضا قبل أن يكون قد حقق في تحليل المحادثة فيما بعد الإنتقال من النص إلى الحوار (بوصفه وحدة أساسية) ¹، بعد أن إنتقل اهتمام الباحثين من اللغة المكتوبة إلى اللغة المنطوقة و لفت الإنتباه إلى الاستخدام اللغوي، دعت الحاجة إلى وضع خصائص تميز اللغة المنطوقة بعدّها كلاما طبيعيا يكون وليد اللحظة ومرتبطا بسياق معين، ليكون من السهل الإنتقال من دراسة النظام إلى دراسة الاستخدام.

نستنتج أن الجذور الأولى لنظرية تحليل المحادثة كانت تدور حول علم الاجتماع والأنثروبولوجيا و علم اللهجات... حيث كانت وليدة الخروج من دراسة النص كنظام تحكمه قواعد إلى دراسة اللغة المستخدمة أي اللغة المنطوقة، ومن هنا كانت نشأة لنظرية جديدة مستقلة ألا وهي نظرية "تحليل المحادثة".

2.3. خصائص المحادثة:

يعدّ الحديث أحد أهم السمات التي يتميز بها الكائن البشري على خلاف غيره من الكائنات وباعتباره الصورة الأساسية للتفاعل الفعلي للغة فهو يحظى بخصائص تميزه عن غيره من التفاعلات. ((فالأحاديث اليومية تمتاز بأنها أحاديث توجد في سياقات غير رسمية بين المشاركين، متساويين غالبا عند الإفطار، في الميتر، على الطريق، في الشارع وما أشبه، أما الأحاديث الأكثر خصوصية إلى حدّ ما فهي على سبيل المثال : حديث، الطلب (أي الحصول على شيء) حديث البيع، حديث الدرس، حديث الإذاعة أو التلفزيون))² فلعل أهم خاصية تمتاز بها المحادثة هي امتلاكها لسياقين قد تكون في شكل أحاديث رسمية مربوطة بمقام معين.

ويرتبط تعريف المحادثة بتحديد الخواص المقولية التالية:

((1- شريكان في التفاعل على الأقل

2- تناوب إجباري بين المتكلمين

3- موضوع المحادثة الذي يقع فيه بؤرة الإنتباه الإدراكي للمشاركين في الفعل.

4- المكان و الزمان في التواصل _ وجها لوجه _ ومن ثم

5- الاحتفاظ بمطابقة الزمان والمكان

¹ جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، ص 343.

² تون فان دايك: علم النص مدخل متعدد الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، ص 376.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

يعدّ كلا المعيارين نسبيا بحيث لا تمثل وحدة المكان وكذا التواصل وجها لوجه شرطين جوهريين باعتبار أن الوسائل التقنية مثل التلفون والتلفزيون يمكن أن توفر هذه المقاييس المتغيرات ("Parameter")¹، فخصائص المحادثة لا تبني على شرط المكان والتواصل بل يمكن أن تبني دونهما مثلا: محادثة هاتفية أو مناقشات تلفزيونية وغير ذلك، فهذين الشرطين نسبيين وليس من الضروري وجودهما. وقد أشار فان ديك أن ((الحديث يكون مخططا ففي العادة تعقد اتفاقات لوقت معين ومكان معين للحديث، وأحيانا بشكل واضح أيضا لموضوع الحديث ووظيفته، وفي المقام الثاني توجه وتبرمج أغلب هذه الأحاديث من جانب واحد يوجد مشاركون لهم الوظيفة/الدور، لهم تقريبا خاصية مهنية أو غيرها، وهو ما يمكن أن يقال الحق أو الالتزام أيضا بأن يحددوا موضوع الحديث، وينهوا الحديث ويثيروا أفعالا كلامية معينة وما أشبه))² ، فالحديث عند "فان ديك" يقوم على التخطيط؛ أي أن المتحدثين يقومون بالإتفاق على زمن أو مكان معين للتحدّث وعلى موضوع الحديث، وتكون هذه العملية بين متحدثين غالبا ما يكون لهم نفس الوظيفة والخصائص وهم المسؤولون عن انطلاق الحديث وإنهائه.

خلاصة الموضوع أنه يمكن تحديد تعريف المحادثة من خلال خصائصها المذكورة سابقا بضرورة وجود متحدثين وموضوع الحديث، ووجود تفاعل دوري بينهم والزمان والمكان والتواصل، لكن هنالك من يرى أن شرطي المكان والتواصل أمر نسبي ويمكن الاستغناء عنهما.

3.3 قضايا المحادثة:

تعدّ قضايا المحادثة أحد أهم الموضوعات التي شغلت الدارسين فمن المسائل الأساسية والمفاهيم الرئيسية لتحليل المحادثة القضايا المسؤولة عن تنظيم الحوار وافتتاح المحادثة وإنهائها مثل: التحية والمخاطبة وإنشاء الاتصال³ وغيرها من القضايا. حيث يقول "جرهارد هلبش": ((أنه يجوز بلا خلاف أن تكون الطبيعة التتابعية لخطوات المحادثة وأفعال الكلام أيضا. وبهذه الطريقة ينتج قسمان كبيران إسهامات في الكلام أو

¹ قولفانج هاينه مان ديتر فيهتجر: مدخل إلى علم لغة النص، ص218، 219.

² تون فان دايك: علم النص مدخل متعدد الاختصاصات، ص377.

³ جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، ص344.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

أفعال كلامية دالة على المبادرة (Intiative) (مفتحة للتتابع) ودالة على رد الفعل (Réactive) (تتابع مختتم أو وارد داخل تتابع...) والتتابعات المتفرعة إلى فرعين هي مثلا:

- 1- تحية، رد التحية.
- 2- مخاطبة، رد لفظي.
- 3_ استفهام، إجابة.
- 4_ مجاملة، رد المجاملة.
- 5_ طلب/رجاء لفعل متأخر، وعد.
- 6_ عرض، قبول/رفض.
- 7_ نصيحة، اعتبار.
- 8_ لوم، تبرير.
- 9 - اشتباه، اعتذار.¹

فالأشكال المذكورة آنفا تمثل تتابع أدوار وأفعال الكلام عند "هلبش" فعلاقة الفعل الكلامي بخطوات المحادثة من أهم القضايا التي يتناولها هذا الميدان. فهذه الأشكال ليست آلية مستقرة في كل الحالات بل هي تابعة لخصوصيات المحادثة ومقاماتها والعناصر الأخرى الفاعلة فيها كعدد المشاركين² لهذا قد نجد أن كثيرا من الردود قد تخرج عن الأطر التي أشار إليها هلبش. ((ويرتبط تبادل المتكلمين بوجه عام بالتتابعات المذكورة: فالشريك يصنع الإسهام المبادر، ويتيح للمخاطب في الوقت نفسه الفرصة للإسهام في الكلام ويوجد كذلك إلى جانب تتابعات ذات فرعين تتابع ذات فروع عدة أيضا) مثل: الإنتباه ، الإعتذار، المكافئة، نقل المعلومة، ثبت _ إعادة التثبيت) ((³.فالتفاعل الحاصل بين المتكلمين يكون عن طريق تلك التتابعات الثنائية حيث يقوم المتكلم بالإسهام في بدء الحديث، ويمنح للمخاطب فرصة للإسهام في الكلام أيضا، وتلك التتابعات لا تقتصر على الثنائيات المذكورة سابقا فحسب بل قد تتجاوزها إلى تفاعلات أخرى.

¹ جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، ص345.

² رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص124.

³ جيرهارد هلبش : تطور علم اللغة، ص346.

مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية والمحادثة

خلاصة هذا المدخل أن المحادثة تعدّ أهم قضايا التداولية التي تحمل طابعا برجماتيا بحثا، فهي تهتم باللغة والتفاعل بين الملفوظات وهي تجسيد واقعي لتواصل الأفراد، تمثل ظاهرة تداولية بامتياز وأن الفعل الكلامي يمثل المادة الأساسية في تحليل المحادثة، فهذا الأخير هو مجال جديد لعلم اللغة، يقوم على أساس برجماتي باعتباره منهجا لدراسة الحوارات بين الأفراد، من أجل تحليل الكلام بالإهتمام بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي يكون لها أثر واضح في تلك المحادثات، فهي الشكل الطبيعي الذي يربط مستعملي اللغة عن طريق تداول الألفاظ بشكل دوري بينهم. وقد تعددت أجناس المحادثة ولعل أهمها "المناظرة" التي تعتبر فنا تحاوريا راقيا، جاءت وليدة البيئة الجدلية وأساسها مجادلات الفقهاء والفلاسفة. لكن هنالك فرق طفيف بين المحادثة والمناظرة يكمن في أن الأولى مظهر طبيعي يظهر في النشاطات اليومية، و يشترك فيها كل الناس فتكون أكثر حرية. بينما المناظرة تقوم على قواعد مضبوطة تكون بين أناس ذو كفاءة علمية، فنجد فيها غالبا انقسام فريقين بين مؤيد ومعارض، فهي وسيلة لزيادة المعرفة. فالمحادثة ليست مجرد حديث بين أشخاص واقعيين فقط بل من خلالها يمكن أن تتمظهر الحالات النفسية و الاجتماعية، وهنا يبرز دور تحليل المحادثة في بلورت هذه المظاهر وإبرازها وذلك ما نجده في علم النفس، وعلم الطب النفسي وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية.



الفصل الأول:

الخطاب وصاحب

الخطاب

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

تعدّ المناظرة وجها من وجوه المحادثة الراقية التي تحمل داخلها عدة مظاهر تداولية تساعد على بنائها و تعمل على نجاح عنصر التواصل فيها. فالمناظرة نقاش بين شخصين أو أكثر يكون كل طرف فيها متمتعا بعدة ملكات تمكّنه من الوصول إلى هدفه بطريقة ناجحة. وذلك من خلال المواجهة التي تكون حاضرة، فيقوم كل طرف فيها باستخدام أساليب معينة محاولا التأثير في الطرف الآخر، خاصة في تلك المسائل التي يحدث فيها الخلاف فنجد كل طرف يحاول أن يجعل من فكرته ورأيه الطرف الناجح. ويكون ذلك التأثير المتبادل ظاهرا من خلال الرؤى و الأساليب التي يستعملها كلا الطرفين، والتي تكون بدورها عبارة عن انعكاسات لحياتهم و بيئتهم التي عاشوا وتعلّموا فيها على يد شيوخ وعلماء كان لهم الأثر البارز في تلك المعارف التي يخوضون غمار المناقشة بها.

وفي مناظرة "أبي سعيد السيرافي" و"مّتي بن يونس"، نجد هذا النوع من المحاورّة والحديث الذي يحمل في طياته موضوعين كانا محطّ خلاف بين العلماء، ألا وهما "المنطق والنحو"، ففي هذا الفصل سنتعرض إلى أهم القضايا التي طرحها كل من السيرافي ومّتي، وسنسلط الضوء على حياة كل منهما لنكتشف أسلوبهما ورؤيتهما في كلا الموضوعين، ومن هم أكثر العلماء اللذين تأثروا بهم، لكي نصل في الأخير ونعرف من مالت له كفة الفوز.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

المبحث الأول: دراسة في مرجعيات الخطاب عند أبي سعيد السيرافي.

قد عرفت الدراسات العربية عديدا من الشيوخ والعلماء الذين كان لهم الفضل في تطويرها ومن بينهم: "أبي سعيد السيرافي" والذي كان إماما في النحو والقضاء والبلاغة والعروض، وقد عرف بزهده في الدنيا وبهذا يأتي الحديث في هذا المبحث للتعرف على شخصيته وتناول بعض الجوانب من حياته، ومعرفة أهم القضايا التي أحاط بها في مناظرته الشهيرة مع متى بن يونس.

المطلب الأول: حياة أبي سعيد السيرافي.

هو "أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان"، ويلقب "بالسيرافي" نسبة "لسيراف" وهي مدينة في جنوب "فارس"، كانت ميناءا للتجارة مع الهند... ولا نعلم على وجه اليقين متى ولد السيرافي "قابن النديم" يجعل ذلك قبل سنة 290 هـ، وقد يكون "علي بن عيسى الروماني" أقرب للصواب في تحديد ميلاده سنة 280 هـ، أما عن وفاته فكانت سنة 368 هـ ببغداد. وتتفق المصادر والقرائن على كون "أبي سعيد السيرافي" من أصل فارسي، بل هو من "آل المرزبان بن خدايداد"، وكان أبوه ماجوسيا سماه ابنه بعد تحوله إلى الإسلام "عبد الله" بعد أن كان اسمه "بهزاد".

وإذا ربطنا بين المحافظة على الدين القديم عند هذه الأسرة التي عاشت ماجوسية حتى القرن الرابع الهجري في "فارس" التي بها دار ملوكهم وأديانهم وكتبهم، وبين ما يذكره الإصطخري عن الحياة اللغوية في فارس، نخرج برأي حول المعارف اللغوية التي أتاحت لأبي سعيد السيرافي في طفولته وصباه؛ فالسيرافي عرف الفارسية _ فيما يبدو _ لغة الحديث في أسرته وعرف العربية لغة الدين والدولة، ولكن لا نكاد نثبت له معرفة بالفهلوية. وهكذا نشأ السيرافي في منطقة عرفت ازدواجا لغويا بين العربية والفارسية.¹ قضى السيرافي طفولته وشطرا من صباه في "سيراف" التي لم تكن مركز علم، بل مركز مال وتجارة، وعلى الرغم من عدم توافر معلومات مباشرة عن العلم والتعليم في سيراف، نستطيع أن نفترض أن "السيرافي" تلقى علومه الأساسية في العربية والقرآن والحديث والنحو في "سيراف". اتجه السيرافي إلى عسكر مكرم، فكان بها أنبه من أخذ عن "الصيمري المعتزل" تلميذ "هاشم

¹ أبو سعيد السيرافي: ضرورة الشعر، تح: رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/ 1985م، ص7، 8، 9.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

الجبائي" ذكر ذلك كله ولده أبو محمد يوسف بن سعيد فقال: ((أصل أبي من سيراف، وبها ولد، وبها ابتدأ يطلب العلم، وخرج منها قبل العشرين، ومضى إلى "عمان" وتفقه بها ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها مدة، وأتى محمد بن عمر الصيمري المتكلم، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه)).

وقد عرف "السيرافي" في حلقة "الصيمري المعتزل" علم الكلام ومنهجها في الفكر يقوم على المنطق والاستدلال العقلي، ولكن الإمكانيات الثقافية والعلمية التي كانت ببغداد حاضرة الدولة الإسلامية تتيحها في القرن الرابع الهجري للعلماء جذبت السيرافي، فانتقل إليها، وهناك تعلم وعلم، ودرس ودرّس، ليكون ذلك اللغوي الكبير الذي يضع أكبر شرح لكتاب سيبويه.¹

وقد تعلم السيرافي على يد مجموعة من شيوخ عصره الذين كان لهم الأثر في تعليمه وفكره ولعل أهمهم: ابن السراج: أبو بكر محمد بن السري والمبرمان أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل العسكري وقد ذكرهما السيرافي في كتابه "أخبار النحويين البصريين" وقال: ((وعنهما أخذت أكثر النحو وعليهما قرأت كتاب سيبويه))²، وعرف على السيرافي بأنه قد اشتغل بالكثير من المهن فاشتغل قاضيا في بغداد، ولكنه كان يعيش من النسخ فقد كان ينسخ كل يوم عشر ورقات بعشر دراهم لمؤونته ثم يذهب للمجلس أو للتدريس، وأيضا عرف بحسن خطه، درّس السيرافي القرآن والقراءات وعلوم القرآن والنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي وغيرها من العلوم.³

تتلمذ على يد السيرافي كثيرون من أعلام اللغة والنحو في القرن الرابع الهجري ونذكر منهم: ابراهيم بن علي أبو اسحاق الفارسي، وعلي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار، وأبو اليركات محمد بن عبد الواحد الزبيري الأندلسي.⁴

كما كان السيرافي مهتما بعدد من العلوم كالنحو والفقه والعروض التي ألف فيها عديدا من الكتب أشهرها: "أخبار النحويين والبصريين" ويسمى أخبار النحاة وهو من أقدم الكتب

¹ أبو سعيد السيرافي: ضرورة الشعر، ص10.

² القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، ملتمز للطبع و النشر شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط1، 1374هـ/1955م، ص81.

³ أبو سعيد السيرافي: ضرورة الشعر، ص18.

⁴ المرجع نفسه، ص 13، 14، 15 .

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

التي وصلت إلينا في أخبار النحاة، وكتاب "الإمتاع في النحو" وفيه مات ولم يكمله وكمله ولده يوسف وكذلك كتاب "المدخل إلى كتاب سيبويه".¹

وقد اتسم "أبو سعيد السيرافي" بمجموعة من الصفات الخلقية، فهو معروف بكونه رجل دين زاهد في الدنيا، ((وتذكر المصادر أن السيرافي كان متهما بالإعتزال وتقول: وكان يذكر عنه الإعتزال، ولم يظهر ذلك))²، فقد كان حافظا للقرآن والحديث، وواسع العلم مطالعا على الدين والأحكام والأصول والشعر وغيرها من العلوم، وقد ترك السيرافي بصمة في مصادر غيره من العلماء ولعل أهمهم "أبو حيان التوحيدي"³.

وخلاصة القول أن أبا سعيد السيرافي كان مغرما بالعلم والدين ولم يترك مزاولتهما في أي وقت من الأوقات ولم ينشغل عنهما أبدا.

المطلب الثاني: قضايا المناظرة عند السيرافي.

ظهرت المناظرة كفن في الأدب العربي في القدم في العصر الجاهلي بعدّها نوعا من أنواع المحادثة والحوار الراقى، لكن لم يتم الاعتراف بها إلا في العصر الإسلامي أين كان ازدهارها وبروزها، وقد عرفت المناظرة كل ذلك الإهتمام من قبل العرب لما تحتويه من معارف وعلوم وقواعد يستقي منها السامع أو القارئ درر العلم الصحيح والسليم، ولعل أحد أهم المناظرات العربية ما أتى به "أبو حيان التوحيدي" في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" عن أبي "سعيد السيرافي" و"متى بن يونس" في مناظرتهما حول المنطق والنحو التي أقيمت سنة 326هـ في مجلس حضره الوزير "أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات" و"قدامة بن جعفر" و"ابن الرشيد" وغيرهم وقد تم اختيارنا لهذه المناظرة لما تحتويه من مبادئ تداولية، فنجد كل من "أبي سعيد" و"متى بن يونس" تتوفر فيهما الكفاءة التداولية مما أدى إلى نجاح عنصر التواصل بينهما وسنسلط الضوء في هذا المطلب على أهم القضايا التي أدلى بها أبي سعيد السيرافي في مناظرته ورؤيته لتلك القضايا وأسلوبه في التعبير عنها من أجل إقناع خصمه بها.

¹ أبو سعيد السيرافي: ضرورة الشعر، ص 25، 26، 27.

² المرجع نفسه، ص 21.

³ المرجع نفسه، ص 22.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

1. النحو:

كانت أول وأهم قضية تحدث عنها السيرافي "النحو" باعتباره الموضوع الأساسي في المناظرة فكلمة النَّحو تطلق في اللغة العربية على عدة معانٍ منها: ((الجهة، تقول ذهب نحو فلان أي جهته. ومنها الشبه والمثل، تقول: محمد نحو علي أي شبهه ومثله.

وتطلق لكلمة نحو في اصطلاح العلماء على "العلم بالقواعد التي يعرف بها أحكام أواخر الكلمات العربية في حال تركيبها: من الإعراب، والبناء وما يتبع ذلك" ¹، فالنحو عند العرب هو العلم الذي يضبط قواعده، ((فلسيرافي إمام كبير بعلم النحو جعله يمتلك ناصية العربية وتكوين مخزون معرفي احتفظ به ووظفه للحاجة، والحاجة ملحة وهي تفضيل النحو على المنطق)) ²، فهذا ما مكنه من إفحام "متى" ويجعل من نفسه بطل هذه المناظرة فقد كان "أبو سعيد" يطرح أبسط الأسئلة في النحو على "متى" ليبين له صحة رأيه ومن بين تلك الأسئلة أحكام الواو حيث قال: ((أسألك عن حرف واحد... فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطوق أرسطوطاليس الذي تدل به وتباهي بتفخيمه وهو "الواو" ما أحكامه؟)) ³، كان سؤال السيرافي حول حرف واحد من أسهل حروف اللغة العربية وهذا يبين ضعف "متى" في النحو مما جعل "أبو سعيد" يستغل هذا الضعف لصالحه فحاول "متى" التهرب من الإجابة بقوله ((هذا نحو والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة للمنطقي إليه وبالنحوي حاجة شديدة للمنطق لأن المنطق يبحث عن المعنى... والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى)) ⁴، فحاول أن يقلل من قيمة النحو ورفع قيمة المنطق فتبين أن "متى" لم يجب عن سؤال السيرافي حول حكم حرف الواو واكتفى بالتحدث عن أفضلية المنطق، رغم هذا تماشى معه السيرافي لكن بعد ذلك عاد "أبو سعيد" وطلب منه الإجابة عن سؤاله بخصوص الواو وحكمه فالواو في النحو أنواع: ((واو الحال، واو المعية، واو العطف، واو الإشباع، واو الزائدة، واو

¹ محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السننية بشرح المقدمة الأجرومية، دار الامام مالك للكتاب، طبعة جديدة مصححة، 1431هـ/2010م، ص04.

² عبد السلام حداد، فريدة العبيدي: الكفاءة التواصلية في الحوار الفلسفي، مناظرة السيرافي و متى بن يونس أنموذجا، مجلة الموروث، مج9، عدد2، ديسمبر 2021، ص 211.

³ أبو حبان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، دط، 1432/2011هـ، ص93.

⁴ المرجع نفسه، ص93.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

الإستئناف(الواو الابتدائية) واو ربّ، الواو التي حسب ما قبلها، واو الجماعة))¹ لقوله: ((و مع هذا فحدّثني عن الواو ما حكمه؟))²، فعجز متّى عن الإجابة من جديد ثم قام "أبو سعيد" وعدد له مواقع حرف الواو ومعانيه.

من بين قواعد النحو الأخرى التي اختبر بها "أبو سعيد" متّى" قواعد ترتيب وبناء الاسم والفعل والحرف وكذا حركاتهم وذلك حين قال "متّى": ((يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف فإني أتبلّغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان))³، ليبين له فيما بعد السيرافي أهمية الاسم والفعل والحرف في اللغة العربية، وأن معانيها لا تكتمل إلا بالحركات الذي هو غافل عنها في قوله: ((أخطأت، لأنك في هذا الاسم و الفعل والحرف فقير إلى وصفها وبناءها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات، وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة))⁴.

وكذلك طرح عليه قاعدة العلاقة الإسنادية في تركيب الجمل فالمسند و المسند إليه ((ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر و لا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك اسم المبتدأ و المبني عليه.

وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك))⁵، فهذا التعريف من كتاب سيبويه الذي قد استفاد منه السيرافي فأخذ أبو سعيد يطرح أسئلة حول هذا الموضوع لمتّى بقوله: ((ما تقول في قول قائل: زيد أفضل الإخوة، قال: صحيح، قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته؟ قال: صحيح، قال: فما الفرق بينهم))⁶، فبهت متّى ولم يستطع تبيان الفرق بينهما، فاستمر السيرافي بمبارزته بالكلام بعد أن تأكد من ضعف متّى في النحو، وهناك قواعد نحوية كثيرة

¹ المرسال أنواع الواو في النحو و الفرق بينهما بالأمثلة، <https://www.almsal.com/post/999719>، تم الاطلاع عليه في 2024/05/14، على الساعة، 10:37.

² أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص 94.

³ المرجع نفسه، ص 93.

⁴ المرجع نفسه، ص 93، 94.

⁵ أبي بشر عمرو بن عثمان بن عنبر: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1408هـ/1988م، ص23.

⁶ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص95.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

أخرى قام "أبوسعيد السيرافي" بطرحها على "متى" منها: التقديم والتأخير، والمثنى، والبدل، والمعرفة والنكرة وغيرها من القواعد التي أفحم بها خصمه.

2. البلاغة:

من القضايا الأخرى التي تكلم فيها السيرافي "البلاغة"، ((قيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال: اصابة المعنى وحسن الإيجاز))¹، ولعل أهم موضوع بلاغي فصل فيه سعيد وتبارز فيه لفظيا مع "متى بن يونس" قضية ثنائية اللفظ والمعنى، حيث نجد في كتاب سيبويه: ((إعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف كقولك وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثير))²، فكانت هذه القضية قضية مهمة عند السيرافي فاختلف رأيه عن رأي متى. حيث نجد أن "متى" أعطى الأهمية للمعنى دون اللفظ في قوله: ((والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضع من المعنى))³، ليدخل في صراع مع السيرافي لأن هذا الأخير يرى عكس ذلك بل نسب الأهمية لكليهما فهما وجهان لعملة واحدة ولا يصح المعنى دون اللفظ، ولا يكون اللفظ دون المعنى فلا غنى لأحدهما عن الآخر و جاء ذلك في قول أبي سعيد: ((أخطأت، لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والأخبار والاستخبار والعرض والتمني والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب كلها من واد واحد بالمشاكله والمماثلة، ألا ترى أن رجلا لو قال: ((نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش...)) كان في جميع هذا محرفا ومناقضا وواضعا للكلام في غير حقه، ومستعملا اللفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطلق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو لكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة ... ولهذا كان

¹ محمد جابر فياض: البلاغة و الفصاحة لغة واصطلاحا، دار المنارة للنشر و التوزيع، جدة السعودية، ط1، 1409هـ/1989م، ص 47.

² أبي بشر عمرو بن عثمان بن عنبر : كتاب سيبويه، ص 24.

³ أبو حيان التوحيدي: الامتاع و المؤانسة، ص93.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

المعنى ثابتا على الزمان))¹، والملاحظ أن طريقة أبو سعيد في إثبات فكرته كانت موفقة فقد قدّم أمثلة وبراهين ليعزز صحة قوله ويغير وجهة نظر خصمه. ومن المسائل البلاغية الأخرى التي أشار إليها "أبو سعيد" مسألة المستقيم الحسن في قوله: ((قال قائل: "من الكلام ما هو مستقيم حسن ومنه ما هو مستقيم محال ومنه ما هو مستقيم قبيح ومنه ما هو محال كذب، ومنه ما هو خطأ". فسّر هذه الجملة وأعرض عليه عالم آخر، فأحكم أنت بين هذا القائل والمعارض وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل))². نلاحظ أن "أبا سعيد" بسؤاله هذا قد تحدى متى ليستعمل المنطق في تفسير هذه الجملة والحكم بين رأي القائل والمعارض وهو يعلم أنه عاجز عن ذلك.

3 . الترجمة:

كانت الترجمة من القضايا التي أخذت حيزا في هذه المناظرة لذا فهي تعني ((إنتقال الرسالة من لغة إلى أخرى وبناء فضاء إستقبال تلتنقي فيه الهوية مع الإختلاف))³، فبالنظر للمناظرة نجد أن أبو سعيد قد عارض متى في هذه المسألة فبحسب رأي السيرافي الترجمة ليست ثابتة ومؤكدة ، فهي لا تنقل المعنى ذاته، وأن كل لغة تمتاز بقواعد وخصائص مختلفة تماما عن غيرها من اللغات مما يجعل الترجمة لا تنقل لنا المعنى بشكل دقيق وجاء ذلك في قوله: ((وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعاراتها وتحقيقاتها، وتشديدها وتحقيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره... فمن أين يجب أن تثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف؟))⁴، وأنه لا يمكن لشخص ضعيف في لغة ما أن يترجم لغة غيره و ذلك حين قال ((بل أنت إلى تعرّف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية))⁵ وقال أيضا : ((وإنما دخل

¹ أبو حيان التوحيدي: الامتاع و المؤانسة، ص93.

² المرجع نفسه، ص99.

³ شريدي السعيد : الترجمة: التعريف بالمصطلح و عرض للنظريات، مجلة معالم، مج07، عدد10، 2018، ص09.

⁴ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص94.

⁵ المرجع نفسه، ص 94.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضع إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفتهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة¹.

4. المنطق:

عرف المنطق كفن وعلم يوناني منذ القدم مع كبار الفلاسفة أمثال أفلاطون وأرسطو فهو علم ((يتميز بالدقة، لأن موضوعه الحق والصدق، سواء أكان واقعا، أم في الجمل والتعبيرات التي يعتبرها المنطق قضايا))²، وقد كان أول موضوع قد بدأ به السيرافي في هذه المناظرة سؤاله عن المنطق ومعناه عند "متى" وذلك ليس لأنه غافل عنه إنما ليثبت مواضع الخلل والخطأ عند مناظره، ويقوم بمواجهته بطريقة صائبة تسنح له بالتغلب عليه وذلك جاء في قوله: ((حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه و ردّ خطئه على سنن مرضيٍّ و طريقة معروفة))³، بعد إجابة "متى" عن سؤال السيرافي بأن المنطق هو الآلة التي يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، ثم خطأه أبو سعيد و أوقفه بقوله: ((أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف و الإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية، و فاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل))⁴، فالسيرافي يعتبر أن الكلام الصحيح و الفاسد يعرف من خلال النظم الصحيح و الإعراب المعروف في اللغة العربية أما المعنى الفاسد فهو يعرف ويدرك بالعقل و لا حاجة للعربي للمنطق اليوناني لمعرفة صحيح أو فاسد الكلام، لأن المنطق قد وضعه رجل يوناني سنّ قواعده بحسب قواعد لغته و قد كان ذلك في قوله: ((إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها و اصطلاحهم عليها و ما يتعارفونه بها من رسومها و صفاتها، فمن أين يلزم الترك و الهند و الفرس و العرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيا و حكما لهم وعليهم))⁵، فنجد أن "أبا سعيد" رافض لفكرة المنطق اليوناني الذي يتوغل في لغات أخرى وثقافات مختلفة عنه ليطبق قواعده و قوانينه عليها فالسيرافي يرى أن لكل لغة قواعدها

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المأنسة، ص 90.

² محمد سيد محمد أبو العلا: المنطق المفهومي تعريفه و علاقته بالمعنى، كلية الآداب جامعة بور سعيد، مجلة بحوث كلية الآداب، ص 673.

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المأنسة، ص 90.

⁴ المرجع نفسه، ص 90.

⁵ المرجع نفسه، ص 91.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

الخاصة التي تتحكم بها، و لكل لغة أيضا منطقتها الذي تعتمد عليه ولا حاجة لهم بالمنطق اليوناني، فالنحويين العرب يعيرون إهتماما متساويا لكل من اللفظ والمعنى، فالتعامل مع اللفظ يكون عن طريق قواعد و خصائص تلك اللغة، أما المعنى فالتعامل معه يكون عقليا بحثا بحسب ما تقتضيه تلك اللغة فلا حاجة للعربية إلى المنطق اليوناني بحسب رأي السيرافي.

5. الدين:

إن الملاحظ في كلام السيرافي في هذه المناظرة و من خلال المواضيع التي تحدّث عنها أنه مهتم بالدين، و بما أن السيرافي مسلم و متّى مسيحي نجده قد تكلم عن الميراث والذي هي ((انتقال الملكية من الميت، إلى ورثته الأحياء، سواء كان المتروك مالا أو عقارا أو حقا من الحقوق الشرعية))¹، فهي حق كل وارث و جاء الدين الإسلامي ليعطي كل ذي حق حقه من خلال وضع بعض الأحكام والطرق لتقسيم الميراث، ((فالقُرآن الكريم هو العمدة في أحكامها ومقاديها))²، حيث أن السيرافي كان رجلا مهتما بالدين ومقربا منه فكان موضوعه المطروح حول هذه القضية ليختبر منطق متّى في حل القضايا واستنباط أحكام منطقية، فقدّم لمتّى مشكلة في هذا الموضوع وطلب منه أن يحلّ الخلاف الحاصل باستعمال المنطق أين قال له: ((ها هنا مسألة قد أوقعت خلافا، فارفع ذلك الخلاف بمنطقتك: قال قائل: "لفلان من الحائط إلى الحائط" ما الحكم فيه؟ وما قدر المشهود به لفلان قد قال ناس: له الحائطان معا وما بينهما وقال آخرون: له النصف من كل منهما، وقال آخرون: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأنى لك بهما؟ وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك.))³، حيث طرح عليه السيرافي مسألة تخص الميراث وطريقة القسمة العادلة وحق كل وارث، وطلب منه أن يقدّم الحل والبرهان باستخدام المنطق اليوناني الذي يتباهى به ونجد هنا نوعا من التحقير والإستهزاء بقدره "متّى" من طرف "السيرافي"، وبما أن "متّى" مسيحي مثلما ذكرنا فقد واجهه السيرافي بسؤال يخص إيمانهم واعتقاداتهم بأن الله ثالث ثلاثة في قوله: ((أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد،

¹ الشيخ محمد علي الصابوني: المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب و السنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، ص34.

² المرجع نفسه، ص33.

³ ابو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص 99.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه والحق ما تقوله هيهات ها هنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم وتدق عن عقولهم وأذهانهم¹، فهو هنا يشكك في اعتقاده ويسأله إن كان المنطق هو ما يجعله يوقن ويؤمن أن الله ثالث ثلاثة فكأنه يحاول أن يجعله عاجزا أمام الجمهور الحاضر لهذه المناظرة، ويفهموا أن منطق "متى" ليست بالفكرة الصائبة للتفكير ولحل الخلافات وفهم المسائل المعقدة دينيا ونحويا وغيرها، فهو هنا يعجزه ويشكك معتقده الذي يؤمن به باستعمال المنطق الذي يدافع عنه.

أخيرا ومن خلال ما سبق نجد أن هذه أهم القضايا التي تحدت وتفاعل فيها السيرافي مع خصمه نتيجة خبرته الواسعة في هذه المجالات والتي تمكن من خلالها نيل ثمار الفوز في هذه المناظرة.

المطلب الثالث: أساليب ورؤية السيرافي في المناظرة.

بالنظر إلى المناظرة ومن خلال الحديث الذي دار بين كل من "السيرافي" و "متى بن يونس"، نستشف عدة أساليب قد استخدمها "أبو سعيد" مع خصمه من أجل إقناعه وإفحامه برأيه و قد ظهرت براعة السيرافي على طول المناظرة مما أدى إلى تفوقه على خصمه بالنظر إلى الأساليب التي استخدمها من حيث الكم والكيف، و من أهم تلك الأساليب نجد: أسلوب الإقناع، أسلوب الإستفهام، أسلوب الشرط، أسلوب الأمر، أسلوب السخرية والاستهزاء، كل هذه الأساليب سنأخذ عينة منها لدراستها والتعرف على طريقة السيرافي في مناظرة خصمه من خلالها، وكذلك لنرى رؤية السيرافي التي بنى على أساسها أفكاره وقدم بها مناظرته لينال الفوز في الأخير.

أولا: الأساليب:

1. أسلوب الإقناع:

يعد أسلوب الإقناع أحد أهم الأساليب التي يجب توفرها في المحادثة من أجل إخضاع الطرف الآخر لرأي المتكلم وذلك من خلال أن يكون كلامه بليغا: ((فالبلاغة تغدو وسيلة للتأثير على المستمع والظهور عليه وإقناعه بالرأي... لأن الكلام البليغ هو الكلام المقنع))².

¹ ابو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص99

² رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس (دراسة بلاغية)، حولية كلية اللغة بنين بجرجا: جامعة الأزهر: مصر، العدد 25، ج5، 1442هـ/2021م، ص 4938.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

ومن بين أساليب الإقناع التي اعتمدها السيرافي هي أسلوب التعليل لأن التعليل يكشف أسباب الرأي المصرّح به ويعدّ من أهم أساليب الإقناع التي يجب أن تتوفر في المحادثة، وقد وردت في هذه المناظرة ثلاث أنواع من هذا الأسلوب المتمثلة في الإقناع بالجملة المعللة باللام الذي وقع في جملة ((وإن زاع شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم))¹، بالضبط في كلمة "خروجه"، فقد جاءت لام التعليل هنا كوسيلة إقناع تحمل في طياتها معنى الخصوصية و((الكشف عن سبب رد بعض معاني النحو مما تم التمرد فيه على المشهورة سواء بطريق القياس أم بطريق الاستعمال أو التأويل مما جرت عليه عادة العرب وسليم فطرتهم))²، فاللام هنا تحمل القوة والتأكيد على أنه لا يجب الخروج عن عادة القوم العرب. أيضا وجود لام معللة في الجمل الآتية ((وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادّعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى))³، دخلت اللام على "ظن" رغم أنه من المعلوم أن "ظن" تستعمل للشك وتكون بعيدة كل البعد عن التأكيد أو اليقين إلا أنها كانت سابقة لـ (أنّ) المشددة فيتغير المعنى من الشك إلى اليقين بسبب أن (أنّ) تفيد التوكيد، وهنا دخلت اللام المتصلة بـ (ظنّ) على (أنّ) ليبيّن لهم هذا التصور الخاطئ فيبتعدوا عنه. والملاحظ أنه في الجملة نفسها استعمل "الفاء" أيضا في "فترجموا" ليكون التعليل بها أكثر إقناعا وقوة للمخاطب فتشد الإنتباه وتجعل من المستمع منصتا فاستعمل السيرافي في الجملة ذاتها "اللام" و "الفاء" ليبيّن صحة رأيه و أنهم على خطأ ليكون أكثر إقناعا ويكون منطقيا وليبيّن فساد رأيهم وظنهم.

2. أسلوب الإستفهام:

يعدّ أسلوب الإستفهام أحد الأساليب التي يكثر استخدامها في كل النصوص على حدّ سواء، فهو ((من الأساليب العربية التي يقصد إليها متكلم العربية للتعبير عما يختلج نفسه

¹ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص96، 97.

² رشا عبد الظاهر محمد السيد : أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس، ص 4961.

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص97.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

من مشاعر... ويتم ذلك بواسطة أدوات معينة تفيد ذلك المعنى¹، وهو يعدّ من الأساليب التي تكررت بشكل مستمر في هذه المناظرة حيث نجده في أغلب مواضعها، فقد تمكن السيرافي من خلال طرح الاسئلة على خصمه من معرفة مدى تمكنه من علم النحو والمنطق، واكتشاف مدى قوة أسسه المعرفية من غيرها وبذلك يكون الإستفهام أحد الأساليب التي تساعد على إفحام الخصم وإبراز مدى محدودية تصوره²، فمن خلال الإستفهام تتم عملية التواصل بين طرفي الحديث ، حيث بدأت المناظرة بطرح " أبي سعيد السيرافي " لسؤال على " متى بن يونس " بقوله: ((حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه و ردّ خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة))³، فكان سؤاله هذا بمثابة وسيلة لمعرفة طريقة تفكير متى ذلك ليس لأن السيرافي لا يعرف معنى المنطق، بل ليكتشف فكرة خصمه التي يحملها ويودّ إيصالها، من أجل إفحامه وإثبات مواضع الخطأ في كلامه، لأنه ((مباشرة بعد تعريف متى للمنطق بكونه " آلة من آلات الكلام" قال السيرافي " أخطأت" ليستمر المناظر في أسلوب الإستفهام الدال على الإنكار والنفي، إنكارا لمعرفة متى ونفيا لصحتها))⁴، وكل هذا يدل على سعة إطلاع السيرافي وثقته بما يملك في جعبته من معارف تسمح له بالدفاع عن النحو واللغة العربية.

ومن المسائل الأخرى التي نجد "السيرافي" قد استفهم "متى" عنها مسألة "حكم الواو" التي ربطها بمنطق أرسطوطاليس الذي كان "ابن يونس" يتباهى به وذلك في قوله: ((أسألك عن حرف واحد وهو دائر في كلام العرب ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطوطاليس الذي تدل به و تباهي بتفخيمه؛ وهو "الواو" ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟))⁵، فلم يستطع متى الإجابة وبهت وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أن "أبا سعيد" يريد من خلال أسلوب الإستفهام أن

¹ سميرة حيدا: من أساليب العربية الإستفهام و أدواته، مغني اللبيب نموذجاً، مجلة جولييات التراث، عدد16، جامعة وجدة، المغرب، 2016م، ص01.

² عبد الوهاب صديقي: بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس نموذجاً، مجلة فصل الخطاب، مج5، العدد18، 2017، ص31، 32.

³ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

⁴ عبد الوهاب صديقي : بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس نموذجاً، ص32.

⁵ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة ، ص 93.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

يثبت أن خصمه عاجز ولا يملك القدر الكافي من المعرفة والإطلاع ليجيب على مسألة بسيطة، وأن المنطق الذي يتخذه "متى" أبا لكل العلوم لم يساعده في الوصول إلى الإجابة على خصمه، لتستمر أسئلة السيرافي على طول المناظرة وتنتهي بفوزه وتغلبه على "متى".

3 . أسلوب الشرط:

يعرف أسلوب الشرط بأنه أحد الأساليب البلاغية في اللغة العربية وهو ((ترتيب أمر على آخر بأداة، وأدوات الشرط هي الألفاظ التي تستعمل في هذا الترتيب والشرط يعني وقوع الشيء لوقوع غيره))¹، وقد كان أسلوب الشرط حاضرا في مناظرة أبي سعيد ومتى بن يونس في عديد من المواضع نذكر منها قول السيرافي: ((ألا ترى أن رجلا لو قال: ((نطق زيد بالحق و لكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح...)) كان في جميع هذا محرفا ومناقضا وواضعا لكلام في غير حقه، مستعملا للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره))²، فقد جاءت أداة الشرط "لو" للإشارة لسبب التحريف والتناقض في تلك العبارات وأنه يجب على المتكلم أن يختار جيدا كلماته وألفاظه لتبيان المعنى المراد الإفصاح به مثلا بين النطق والكلام... فالشرط أحد أساليب السيرافي للتأثير في المستمع من خلال الكلام البليغ الفصيح مع تجسيده لأمثلة ليكون رأيه أكثر قوة وصحة. أيضا استعمل أبو سعيد "إذا" في قوله: ((إذا سلّمت لك أن الترجمة صدقت وما كذبت...))³، جاءت هنا "إذا" موضع (إن) ((التنزيل الشك منزلة غير الشك))⁴، فقد جمع سعيد كل المميزات المتوفرة في الترجمة التي يؤكد متى على صحتها لتكون مقصودة منه للإستدراك بالنفي من بداية الجملة وهذه الطريقة تكون من بين الطّرق التي تستعمل في الإقناع لجذب إنتباه المستمع والشك في رأيه الخاطئ، وكانت خطة أبا سعيد في محاولة إقناع متى خطة ذكية لتغيير وجهة نظره في الترجمة.

¹ رسمية محمد شراونة: أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، مذكرة ماجستير، إشراف الأستاذ يوسف حسن عمرو، جامعة الخليل كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، 1427هـ/2006م، ص 09.

² أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 93.

³ المرجع نفسه، ص 92.

⁴ رشا عبد الظاهر محمد سيد : أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس، ص 4998.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

4. أسلوب الأمر:

وكما لاحظنا من خلال ما سبق أن المناظرة شملت عدة أساليب تميّز بها "السيرافي" خاصة، ومن بين تلك الأساليب التي استخدمها كذلك نجد "أسلوب الامر" الذي هو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية فقد قسّم البلاغيين وبعض النحويين صيغ الطلب الى أنواع متعددة كالأمر والدعاء والإلتماس وغيرها¹، ((وهنا تكمن بلاغة الأمر في قدرته على التأثير على السياق المحيط بالمناظرة لا سيما الحضور والوزير ابن الفرات وتثبت لهم قصور معرفة متى وعدم نظره في النحو، وعدم تمكنه من المنطق اليوناني نفسه))²، ومن أمثلة الأمر قول السيرافي: ((دع هذا ما هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي))³، وقوله أيضا: ((ودع هذا ما هنا مسألة قد أوقعت خلافا فارفع ذلك الخلاف بمنطقتك))⁴، فقد تكرر فعل الأمر "دع هذا" أكثر من مرّة على لسان السيرافي الذي يدل على ((الانتقال بالمناظر "متى بن يونس"، من مسألة لمسألة بعد اكتشاف المناظر "أبي سعيد السيرافي" عجز المناظر عن الجواب عن المطلوب))⁵، فتكرار هذا الفعل يدل على عدم قدرة الخصم في الإجابة وتمكّن أبي سعيد من إفحامه والتغلب عليه، فالمعروف أن من يبدأ بإدلاء الأوامر والتوغل في مسألة معينة يدل على إطلاع الأمر بها، فلأمر أبعاده الحجاجية والتأثيرية في الخصم والمستمع على حدّ سواء.

5 . أسلوب السخرية و الإستهزاء :

قد ذكر أنفا أن البلاغة وسيلة من وسائل التأثير وهناك أنواع كثيرة من بينها بلاغة السخرية والإستهزاء التي اعتمد عليها أبي سعيد في حديثه مع متى وهي إستراتيجية خطابية ذكية وناجحة في الغالب. فقد يستعملها المناظر ضدّ خصمه للتهكم على رأيه فيضعه في موضع الاحراج، فنجد أن السيرافي قد وظّف هذه الوسيلة ساخرا من متى لقلّة معرفته، والإدعاء بمعرفته في المنطق رغم أنه قد سؤل عن حرف واحد ولم يعرف الإجابة عنه لقول

¹ قيس اسماعيل الأوسي : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، بيت الحكمة للنشر و الترجمة و التوزيع، بغداد، دط، 1988م، ص 587.

² عبد الوهاب صديقي : بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس نموذجا، ص 33، 34.

³ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 95.

⁴ المرجع نفسه، ص 99.

⁵ عبد الوهاب صديقي : بلاغة المناظرة، ص 34.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

أبي سعيد: ((وإنما سألتك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها...))¹، فاعتماد السيرافي هنا على السخرية والإستهزاء لتأكيد الفقر المعرفي لدى متى في النحو وهو لا يعرف حتى حكم حرف واحد. أيضا قول أبي سعيد: ((ما تقول في رجل يقول: " لهذا عليّ دراهم غير قيراط، ولهذا الآخر عليّ درهم، غير قيراط" قال: مالي علم بهذا المنطق. قال: لست نازعا عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق))²، فقد سخر السيرافي وأستهزئ بمتى ووصفه بالمخادع فتقنية الإتهام بالخدع هي وسيلة للسخرية والحط من شأن متى، وتعتبر إستراتيجية خطابية حاجية. هذان أبسط مثالان لسخرية أبي سعيد رغم أنّ جلّ المناظرة عبارة عن إستهزاء أبي سعيد من معرفة متى، وأن أقواله باطلة وكان يحاول جاهدا تغيير رأيه وهذه الطريقة تجعل من الجمهور الحاضر لهذه المناظرة يكتشف ضعف متى المعرفي خاصة حول موضوع النحو، ((فهي تساهم في بناء خطاب المناظرة بهدف التأثير في المناظر المستهدف " متى بن يونس"، ومنه التأثير في الثقافة والمنطق اليونانيين))³.

والملاحظ في الأخير أن السيرافي قد استعان بعدة أساليب لإقناع خصمه وتبيان صحة رأيه، فنجح في تقديم أفكاره، وتعتبر طريقة السيرافي من أنجح الطرق التي يجب أن تتوفر في المناظر ليصل إلى هدفه.

ثانيا: رؤية أبي سعيد السيرافي.

كانت طريقة السيرافي في استخدام هذه الأساليب ناجحة في تبيان رؤيته حول النحو والمنطق والعلاقة الموجودة بينهما والموضحة في التالي:

1 . النحو:

إن المعروف عن السيرافي إمامه الواسع بعلم النحو الذي جعل منه أحد أهم رجال اللغة العربية، وكانت رؤيته حول النحو تؤخذ بعين الإعتبار خاصة أنه كان شديد التأثير بالنحويين القدامى أمثال "سيبويه" وكان هذا ملاحظا بشدة في أفكاره ومؤلفاته ككتابه "شرح كتاب سيبويه"، الذي ضمّن فيه جلّ قواعد النحو العربي، من مسند ومسند إليه، الحذف،

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص94.

² المرجع نفسه، ص97.

³ عبد الوهاب صديقي : بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس نموذجا، ص40.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

البدل، التقديم والتأخير، ومعنى الواو وغيرها من القواعد التي تعمق فيها. ومن خلال ما قدمه من معلومات في المناظرة نستنتج أن السيرافي يمتلك مخزوناً نحويًا بكل تفاصيله، حيث أنه في حوارهِ مع متى كانت أسئلته تفصيلية دقيقة كحكم الواو والإسناد وغيرها، فرؤيته للنحو كانت أكثر تأثراً بالأصوليين القدامى الذين تعلم منهم وأخذ عنهم فصاحة اللسان وأصول قواعد النحو مما مكنه من إقناع خصمه وإسكاته في كثير من المرات. فالسيرافي له ملكة معرفية ثرية بعلم النحو مما مكنته من تأويلها لغويًا و طرحها على خصمه في هذه المناظرة. فهو يرى أن معرفة الصحيح والفاقد من الكلام تأتي باستعمال النحو لا باستخدام المنطق، لأن المنطق عنده متعدد ومختلف باختلاف اللغات، فكل لغة منطق يحكمها لا ينطبق على لغة أخرى، بينما النحو فهو ميزان اللغة وضابط لها، فاللغة خاضعة للنحو لا للمنطق في رأي السيرافي وتظهر هذه الرؤية حينما قال في بداية المناظرة: ((صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب العروف إذا كنا نتكلم بالعربية))¹، معنى كلام السيرافي أن لكل لغة منطقها الخاص بها ولا يمكن تطبيق المنطق اليوناني على المنطق العربي²، أي أن اللغة العربية منطلقًا خاصًا بها وللغة اليونانية أيضًا منطلقًا يخصها ولا فائدة من فصل النحو عن منطق تلك اللغة.

2 . المنطق:

لم يكن تركيز السيرافي منصباً في النحو فحسب بل كان له رؤيته الخاصة في المنطق أيضًا حيث صرح أن النحو منطق والمنطق نحو، فالنحوي يركز على اللفظ والمعنى معا دون إهمال أحدهما، لأن التعامل مع المعنى يكون تعاملًا عقليًا؛ أي أنه يحتاج إلى المنطق، وليس بالضرورة أن يكون منطلقًا يونانيًا بل أن اللغة العربية منطلقًا خاصًا بها دون اللجوء للمنطق اليوناني.

نستنتج في الأخير أن السيرافي في هذه المناظرة له رؤيتين حول المنطق والنحو، لكن كان تركيزه أكثر على النحو لكونه صاحب إختصاص في هذا المجال، ورغم هذا لم يهمل المنطق وكانت لو رؤية خاصة به معاكسة تمامًا لرؤية " متى " حاول إقناعه بها وتغيير

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

² الخامس مفيد : جدل النحو و المنطق في التراث العربي مناظرة السيرافي و متى أنموذجًا، الرافد مجلة إلكترونية ثقافية شاملة، دائرة الثقافة حكومة الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1 سبتمبر 2020، تم الاطلاع عليه في 19/04/2024، على الساعة 12:18 .

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

نظرتة إلى أن النحو منطوق، والمنطق نحو، وأن لكل لغة منطقها الخاص ولا يمكن تطبيق المنطق الأرسطي على كل اللغات.

المبحث الثاني: دراسة في مرجعيات الخطاب عند متى بن يونس.

كان للفلاسفة اليونان أمثال "أرسطو" و "أفلاطون" دورا كبيرا في ولادة أفكار وآراء جديدة بنوا عليها معتقداتهم وألفوا فيها عددا من الكتب التي وصلتنا، وقد كانت كفيلة بأن تؤثر في كثير من العلماء العرب، سواء المسلمين أم المسيحيين أمثال "متى بن يونس"، الذي كان شديد التأثير بالفلسفة اليونانية عامة والمنطق الأرسطي خاصة، وهذا ما كان باديا في مناظرته مع "أبي سعيد السيرافي".

المطلب الأول: حياة متى بن يونس.

هو "أبو بشر متى بن يونس القنائي" نزيل بغداد عالم بالمنطق شارح له... وعلى كتبه وشروحه اعتمد أهل هذا الشأن في عصره، وكان ببغداد في خلافة الرازي بعد سنة عشرين و ستمئة و قيل سنة ثلاثين... "وأبو بشر متى بن يونس" من أهل "دير قني" نشأ في "أسكول مرماري" وهو شيخ كبير كان يعلم الناس فن المنطق، وله إذ ذاك سيط عظيم وشهرة وافية، ويجتمع في حلقة خلق كثير من المشتغلين، هو يقرأ كتاب أرسطو طاليس في المنطق، ويملي على تلامذته شرحه، فكتب "أبو نصر الفارابي" عنه في شرحه سبعين سفرا، ولم يكن في ذلك الوقت مثله أحد في فنه، وكان حسن العبارة في تأليفه، وكان يستعمل في تصانيفه البسط والتذييل، حتى قال بعض علماء هذا الفن: ما أرى أبا نصر الفارابي أخذ طريق تفهيم المعاني الجزلة بالألفاظ السهلة إلا من بشر، يعني المذكور، وكان أبو نصر يحضر حلقة في غمار تلامذته. وقد كان نصرانيا و له تفسير من السرياني إلى العربي، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره و قد كان له من الكتب مقالة في مقدمات صدر بها "كتاب أنالوطيقا"، كتاب المقاييس الشرطية، شرح كتاب أيساغوجي "لفرفوريوس" وهو المدخل إلى المنطق.¹ وتخرّج على يديه "يحيى بن عدي" الفيلسوف المنطقي التكريتي الذي أخذ مكانه في رئاسة المنطق بعد وفاته، أجاد متى كلا من اللغة اليونانية والسريانية

¹ رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس_ دراسة بلاغية_ ، ص 4942.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

والعربية، ونقل الكثير من تصانيف أرسطو وفرفيوس، والإسكندر الأفروديسي وشرحها¹، توفي متى بن يونس ببغداد يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين و ثلاثمئة في خلافة الرضي².

المطلب الثاني: قضايا المناظرة عند متى بن يونس.

تظهر مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس عن النحو والمنطق آراء ونظرة كل منهما في هذين الموضوعين فقد تعرض كل منهما لمجموعة من القضايا أشاروا إليها لكي يدعموا آرائهم ويزيدونها قوة من أجل الفوز في هذه المناظرة. وكما هو متبين فإن متى قد استخدم مجموعة من القضايا التي حاول بواسطتها أن يوصل فكرته عن المنطق ويحظى بإقتناع كل من السيرافي والحضور، لكنها لم تكن بقوة القضايا التي تعرض لها السيرافي، فالقارئ للمناظرة يلاحظ شدة تغلب السيرافي على متى في أغلب مواضع هذه المحادثة. وسنتعرض في هذا المطلب إلى أهم تلك القضايا التي استخدمها متى و نحاول استخراج مواطن الضعف فيها.

1. المنطق:

تعدّ هذه القضية الموضوع الأساسي الذي دارت حوله المناظرة فقد ((كانت بداية الاهتمام بالمنطق مع اليونان عامة والفيلسوف أرسطو طاليس خاصة الذي قام بتدوينه وتهذيب مسأله... وكان للمنطق الأرسطي أكبر الأثر على العصور الوسطى التي سيطرت الكنيسة فيها على مجريات الأمور في أوروبا في جميع المجالات العلمية والسياسية وغيرها))³، وكان لهذا الأمر أثر أيضا على الثقافة العربية من خلال تناقل الكتابات اليونانية إلى العرب واطلاعهم عليها باستخدام الترجمة، وقد كان متى أحد أهم وأكبر مترجمي الكتب اليونانية والسريانية، فقد ترجم كتاب ((أرسطو طاليس" في الشعر الذي نقله متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي))⁴، ولعل هذا ما يفسر تأثره الشديد بالمنطق الأرسطي.

¹ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، متى بن يونس <https://ar.wikipedia.org/wiki/>، تم الاطلاع عليه في 2024/04/20، على الساعة 13:11.

² رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس دراسة بلاغية، ص 4943.

³ محمد مصطفى البيومي: محاضرات في المنطق الأرسطي عرض ونقد، مادة نقد المنطق، 1436/ 1437 هـ، ص 5، 6.

⁴ عبد الرحمان بدوي: منطق أرسطو، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج 1، دط، 1948، ص 22.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

وكان أول سؤال طرح على "متى" من طرف مناظره مفهومه للمنطق ليجيبه قائلاً: ((هو آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفساد المعنى من صالحه كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح))¹، فالملحظ لإجابة متى والمطلع على المنطق اليوناني يرى بوضوح ذلك التأثير الموجود في إجابته، فالمنطق عند اليونان أو أرسطو خاصة يعني ((آلة العلوم، والمقدمة المساعدة على التفكير الصائب²))، فالمنطق بالنسبة لليونان ومتى بن يونس الآلة التي يقيمون عليها أفكارهم ويوجهونها نحو الصحة والفساد و يحكمون به على آراء غيرهم، فهو عندهم ميزان قياس الكلام والتأكد من صحته.

وفي موضع آخر يقول متى بعد أن طرح عليه السيرافي سؤالاً محتواه كيف يمكن لغير اليوناني أن يطبق المنطق الأرسطي على لغته الخاصة فيجيب بقوله: ((إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة))³، فهو هنا قد أقرّ بأن المنطق الأداة الأساسية اللازمة لكل اللغات، ليس يقصد المنطق الخاص بكل لغة بل المنطق الأرسطي اليوناني فبالنسبة له وسيلة ادراك الحقائق وما يجول في الخواطر هي المنطق اليوناني لا غير. الذي يعدّ ((علما عملي آلي موجود في العقل بالغريزة، و موضوعه المعلومات التصويرية... وغايته الإصابة في الفكر، وحفظ الرأي عن الخطأ وذلك بتقابل الفكر مع نفسه وتجريده من التناقض لذلك سمي منطق أرسطو بالمنطق الصوري لعنايته بصورة الفكر دون مادته و معناه))⁴، فالمنطق بالنسبة للمتأثرين به والدارسين له يونانيين كانوا أم غيرهم، أمر غريزي موجود في عقل الإنسان ويهتم بالتصورات الفكرية فحسب، وهذا ما كان اليونان يطمعون لإيصاله وتثبيته في جميع اللغات على حد سواء، وهذا أيضا ما كان "متى بن يونس" مركزا عليه في حديثه عن المنطق مع "السيرافي".

¹ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و الموائسة، ص90.

² عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1434هـ/2013م، ص 46.

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموائسة ، ص 91.

⁴ أبي عبد المعز محمد علي فركوس : المنطق الأرسطي و أثر اختلاطه بالعلوم الشرعية، دار الرغائب و النفائس، ط1، 1427هـ/2006م، ص 11، 12.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

2. الحساب و الرياضيات:

تلعب الرياضيات دورا بارزا عند المناطق خاصة اليونانيين بعدّها علما منطقيا تجريديا بحتا ((فيمكن القول بصفة عامة أن الرياضيات كما نعرفها اليوم أي بوصفها علما نظريا محضا إنما ظهرت عند اليونان وخاصة بعد "فيثاغورس" Pythagore ومدرسته، أما الأساس الذي بنى عليه اليونان صرحهم الرياضي النظري فهو دون شك الرياضيات التطبيقية التي عرفت الحضارات الشرقية القديمة))¹، وكما ذكرنا آنفا فإن المناطق اليونانيين يهتمون بكل ما هو صوري يتقبله الفكر فحسب ويأخذونه بعين الاعتبار ويتركون ما عدا ذلك منه، فنجد متى كونه أحد أكبر المناطق ومفسي كتب اليونان العرب متأثرا أيضا بالرياضيات والحساب، فقد كان ذلك ظاهرا في المثال الذي وضعه أثناء حديثه عن المنطق، في قوله: ((المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أن أربعة وأربعة (ثمانية) سواء عند جميع الأمم وكذلك ما أشبهه²)، فقد قاس مثاله هذا وأسقطه على جميع اللغات ليبين لخصمه أن المنطق اليوناني له صورته في كل اللغات رغم اختلافها وتباعد قواعدها، باستخدامه لمثال رياضي حسابي، فبقوله " الناس في المعقولات سواء" يؤكد على توافق الأفكار المنطقية بين جميع الناس على اختلافهم واختلاف ثقافتهم.

3. الترجمة:

تعتبر الترجمة موضوعا من مواضيع المناظرة والتي تحدّث فيها متى واختلف رأيه عن رأي سعيد، حيث قال متى: ((يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدّت المعاني، وأخلصت الحقائق))³، فهدف متى من قوله هو التعزيز بالترجمة وأنها توصل المعنى المراد وتحافظ عليه، رغم أن الترجمة تعرف بأنها نقل الكلام من لغة لأخرى مع إحترام المعنى ((وأن المترجم في حاجة إلى أن تتوفر لديه أهلية الفهم بالنسبة للغة التي

¹ محمد عابد الجابري: مدخل الى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة و تطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1998م، ص 57.

² أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و الموائسة، ص 91.

³ المرجع نفسه، ص 91.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

ينقل عنها، وأن تتوفر لديه أهلية التعبير في اللغة التي ينقل إليها¹، فعلى المترجم أن يكون على دراية بقواعد اللغة الأم واللغة التي سترجم لها، وأن يكون ذو كفاءة تمكّنه من إيصال المعنى المراد من النص الأصلي، ولن يتمكن من بلوغ هدفه دون أن تتوفر فيه هذه الشروط. لكن متى كان له رأي آخر مخالف وهو أن الترجمة تحفظ المعنى والغرض وتوصل الحقيقة، هذا يدل على ضيق المعرفة لمتى حول الترجمة، وأنه تناسى وجود إمكانية الخطأ والهبوة التي تغير من معنى النص المنقول حتى وإن كان في حرف واحد.

4. قضية اللفظ والمعنى:

من المعروف أن اللفظ والمعنى من القضايا القديمة حيث تحدث اليونانيون عنها في أبحاثهم السفسطائية الخاصة باللغة والخطابة والنحو بوجه أخص²، هذا ما يفسر رأي متى حول هذه القضية، حيث قال: ((هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى))³، يرى متى أن المعنى أشرف من اللفظ وأن المنطقي لا يحتاج لا للفظ ولا للنحو، وإنما يهمه المعنى لا غير، وأضاف أن النحوي يحتاج للمنطق بسبب أن هذا الأخير يحتاج للمعنى فقط؛ أي أنه ينفي إذا فكرة أن اللفظ والمعنى وجهين لعملة واحدة، فمتى بن يونس يؤكد حاجة المنطقي للمعنى فقط، وأن حاجته لا تستدعي الاهتمام باللفظ لأنه لا حاجة له بعلم النحو.

المطلب الثالث: أساليب ورؤية متى بن يونس في المناظرة.

بعدما اطلعنا على أساليب السيرافي في المناظرة نجد أن متى قد استخدم أيضا مجموعة من الأساليب ليدافع عن أطروحته ضدّ خصمه، ويحاول إقناعه برؤيته التي يحملها عن المنطق اليوناني.

¹ أمبارو أورتادو ألبير: الترجمة و نظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، تر: علي ابراهيم المنوفا، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2007م، ص 36.

² اليزيد سلطان : علاقة اللفظ بالمعنى عند المحدثين، مجلة المعيار، مج25، عدد 59، 2021م، ص 559.

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص 93.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

أولاً: الأساليب.

1 . أسلوب الإقناع:

يحتاج الانسان في حياته اليومية إلى إنشاء خطابات من أجل التواصل مع غيره في عدة مواضيع، ويحتاج في ذلك الى استعمال أساليب كثيرة من بينها أسلوب الإقناع باعتباره منطلق البلاغة القديمة وسعته المميزة، حيث انبثق من رحم الفلسفة والجدل وغطى مناحي الحياة في المجتمع اليوناني، ومنح القول سلطة وقوة¹. ومن بين أهم أساليب الإقناع التي اعتمدها متى: الإقناع بالجملة المعللة بالفاء مع إن المتمثلة في قوله: ((يونان وان بادت مع لغتها فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق))²، نجد أن متى قد ((حاول هنا نقض كلام أبي سعيد في رفض تعلم المنطق وتعلم اللغة اليونانية بطريقة تسترعي السمع والإهتمام وهي طريقة تقرير الكلام ثم نقضه على الفور، حيث قال أبو سعيد لمتى : ((أنت إذا لست تدعونا إلى علم المنطق إنما تدعون إلى لغة لا تفي بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها، وإنقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها)) فيردّ عليه متى بالنقير المصبوغ بصبغة الشك ب (إن) الشرطية في قوله: ((يونان و إن بادت مع لغتها))، حيث يقرر هلاك يونان مع لغتها بطريق الشك، وعلى الفور يأتي بالنقض بأسلوب الإقناع بالجملة المعللة ب [الفاء مع إن (فإن)] قوله: ((فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق)) فمزج في إقناعه بين التعليل والتأكيد بدلالة (فإن) على عكس تقريره المبني على الشك))³. استعمل متى أسلوب الشك في الجملة الأولى والتأكيد من خلال استخدام أداة "إن" التي قرنها بالفاء في جملته الثانية لكي يحاول إقناع السيرافي بأهمية الترجمة اليونانية وعمل "إن" هنا ساعد على تأكيد كلام متى ليزيل الشك باليقين.

أما أسلوب الإقناع الثاني يتمثل في الجملة المعللة ب "لأن" في قول متى ردا على سعيد: ((إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح الخواطر السانحة و السوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة

¹ عبد العالي قادا : بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م/1437هـ، ص5.

² أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة ، ص91.

³ رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الإقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي و متى بن يونس، ص 4965.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

ثمانية سواء عند جميع الأمم وكذلك ما أشبهه¹، استعمل متى أداة التعليل (لأن) لأنها تفيد التعليل والتوكيد مما يزيد نسبة الإقناع ويساعده على تثبيت رأيه ليوصله إلى خصمه وإلى الحضور بطريقة تجعلهم يقبلون فكرته.

2 . أسلوب المقارنة:

تعرف المقارنة على أنها: ((عملية ذهنية تقوم على ربط موضوع بآخر برابط واحد، لإستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما وقد يشمل هذا الربط موضوعين أو أكثر))²، وهذا يعني أنها عملية مقايسة وربط بين ظاهرتين متماثلتين لا متناقضتين. وتعد المقارنة آلية من آليات الحجاج، وتكمن بلاغتها في قدرتها التأثيرية في المستمع، لأنها تجعله يدرك مختلف التمايزات بين شيئين³. ويعتبر هذا الأسلوب أسلوباً مهماً لتبنيان أفضلية الإختيار وهذه الطريقة اعتمدها متى في مناظرته ضدّ خصمه محاولاً إقناعه في قوله: ((هذا نحو، النحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مرّ المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى))⁴، والملاحظ في هذا القول استعماله كلمتي (أشرف، أوضع) في قوله: "أشرف من اللفظ" و "أوضع من المعنى" هذا يدل على تقنية المقارنة حيث فضّل المعنى عن اللفظ وقارن بين المنطق والنحو مبيناً أن المنطق يبحث في المعنى و أن النحو يبحث في اللفظ. إذا فمتى فضّل المنطق اليوناني على النحو العربي و ليس موضوع لفظ ومعنى فقط وإنما هو أكبر من ذلك، صحيح أنه خصّ قوله في اللفظ والمعنى، لكنه يقصد بشكل عام تفضيل اليونان عن العرب والمنطق عن النحو، و "هنا تكمن بلاغة المقارنة في قدرتها التأثيرية في المستمع"⁵.

¹ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

² جميل صليبية: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، دط، 1982م، ص 405.

³ عبد الوهاب صديقي: بلاغة المناظرة، ص 35.

⁴ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 93.

⁵ عبد الوهاب صديقي: بلاغة المناظرة، ص36.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

3 . أسلوب التمثيل:

يعتبر أسلوب التمثيل ((من الأساليب المهمة التي يقوم عليها الحجاج والإقناع، منذ أرسطو إلى اليوم مروراً بالبلاغة العربية القديمة وكذلك الفلسفة خاصة التي إهتمت بشرح كتاب أرسطو))¹، هذا يبرر سبب استعمال متى لهذا الأسلوب أي سبب تأثر متى باليونانيين وأرسطو خاصة، جعله يستعمل هذا الأسلوب، لأنه ((أداة أسلوبية ناجعة في إيصال المعلومة إلى المتلقي و تقريب المسافات بينه وبين المتلقي))²، كما جاء في قول متى: ((أعني به أنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه، كالميزان³))، نلاحظ استعمال متى للتمثيل فجعل من المنطق آلة يعرف بها الكلام الصحيح من باطله فشبهه بالميزان ليزن الكلام الصائب والباطل الفاسد وهذا التمثيل يستعمل لتقريب الفهم للمستمع فمثل الشيء المعنوي بالشيء المجسد الحسي لتصل الصورة والمعنى للمتلقي، فهو وسيلة من وسائل الإقناع. أيضا قوله: ((إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية سواء عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه))⁴، استعمل هنا مثالا ليقرب الفهم و هو "أربعة وأربعة ثمانية" فوظف هذا المثال في المناظرة ليوضح للسيرافي أن المنطق اليوناني ينطبق على جميع الأمم لا على يونان وحدها وكان هذا التمثيل لجذب إنتباه الجمهور وإنتباه السيرافي لإقناعهم بفكرته التي مفادها أن المنطق اليوناني هو منطق يحتاجه العالم بأكمله لأن الناس في المعقولات سواء.

نلاحظ أن متى متأثر بأرسطو حيث اعتمد على هذا الأسلوب ((فقد اعتمد أرسطوطاليس التمثيل في كتابه: الخطابة، و اعتبره مؤسسا للمعرفة))⁵، وقد عرّفه على أنه ((كل إستدلال يقوم على التشابه بين الأشياء التي هي موضوع هذا الإستدلال ويستخدم في الاكتشاف مثلما يستعمل في الإقناع))⁶، فهذا يبرهن أفكار متى وأسلوبه المتبع في خطابه

1 حسين أحمد كتانة: حجاجية أسلوب التمثيل، كلية الآداب جامعة أهل البيت، مج13، عدد1، 2024/1/1، ص 173.

2 المرجع نفسه، ص 173.

3 أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص 90.

4 المرجع نفسه، ص 91

5 حسين أحمد كتانة: حجاجية أسلوب التمثيل، ص 175.

6 المرجع نفسه، ص 176.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

وفي مناظرته لجذب إنتباه الجمهور وخصمه ولإقناع بأفكاره التي استمدّها من اليونان وخصوصا أرسطو.

نلاحظ أن متى لم يتكلم كثيرا عكس السيرافي وهذا يدل على سبب قلة الأساليب المتبعة لكن رغم هذا إلا أنه استعمل أساليب قوية في محادثته لتكون له كدرع في هذه الحرب الكلامية العلمية محاولا الإقناع والتأثير بأساليب مختلفة (الإقناع، التمثيل، المقارنة).

ثانيا. رؤية متى بن يونس:

كما ألفينا سابقا "أن متى بن يونس" قد استخدم مجموعة قضايا وأساليب حاول من خلالها إيصال فكرته ومعرفته للحضور عامة وخصمه "السيرافي" خاصة، والناظر لكل ما سبق يستطيع أن يلاحظ مدى تأثير "متى" بالمنطق اليوناني الأرسطي الذي انعكس على رؤيته حول النحو والمنطق على حدّ سواء، حيث تمثلت تلك الرؤية فيما يلي:

1 . المنطق:

كان "متى بن يونس" أحد كبار عالمي المنطق ومترجمي كتب الفلاسفة اليونان، وبصفته أحد علماء العرب فقد كان له الفضل في إيصال تلك الكتب إلينا وشرحها وتفسيرها. فبسبب ذلك له ارتباط كبير وتأثير ظاهر بفلسفة المنطقي "أرسطوطاليس" كونه صاحب هذا العلم، فقد ترجم له العديد من المؤلفات وكتب لفلاسفة آخرين، ومن أهمها ((شرح كتاب أيساغوجي لفرفيوس وهو المدخل إلى المنطق))¹.

ومن خلال ما قام بتقديمه "متى" في هذه المناظرة رغم قلة حديثه إلا أن رؤيته وتأثيره بالمنطق اليوناني تبدوا واضحة بصورة قوية، فمثلا إذا نظرنا لتعريفه للمنطق سنجد نفسه يتكرر بين جميع المناطق إن كانوا يونانيين أم غيرهم ((فقد جرت عادة المناطق أن يعرفوا المنطق بأنه البحث فيما ينبغي أن يكون عليه التفكير السليم))²، وهذا ما قام متى بقوله حينما طرح عليه سؤال بخصوص مفهومه للمنطق، كذلك نجد أن له نظرة في الترجمة بحكم أنه مترجم، قام بتقديم العديد من التراجم للكتب اليونانية وتخرّج على يده العديد من العلماء

¹ رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الإقناع في مناظرة ابي سعيد السيرافي ومتى بن يونس دراسة بلاغية، ص4942.

² يحيى هويدي: ما هو علم المنطق؟ دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية، ملتزمة الطبع و النشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1966م، ص10.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

أمثال "الفارابي" الذي أثر فيه وفي أفكاره بخصوص المنطق والترجمة، فهذه الأخيرة بالنسبة لمتى هي علم واسع ساعده على نقل أفكار اليونان بطريقة متكاملة، فبحسب رؤيته الترجمة لا تتغير شيئاً من أفكار مصادرها فهي تحافظ عليها وتنقلها كما هي، فبقوله " إن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق" دليل قاطع على رؤيته تلك.

نخلص أخيراً إلى أن "متى بن يونس" أحد أهم المناطق العربية _غير المسلمين_ الذين كان لهم دور بارز في ولادة المنطق عند المشاركة، وكان له الفضل في إيصال الفكر الفلسفي اليوناني الأرسطي من خلال ترجمته لكتبهم، وانفتاحه على علم جديد في عصره.

2 . النحو:

كان الجدل بين ثنائية المنطق والنحو قائماً منذ القديم ولعلّ هذه المناظرة أثبتت ذلك بصورة كبيرة، فقد كانت رؤية متى للنحو سطحية حيث اقتصره فقط كونه مجال يهتم باللفظ ولا يعير إهتماماً بالمعنى، لهذا اشتدّ الحديث بينه وبين خصمه حول هذا الموضوع، فهو يرى أن المنطقي لا يحتاج للنحو بينما النحوي بحاجة للمنطق لأن المنطق يبحث في المعنى، والمعنى عند المناطقة أشرف من اللفظ في قوله: ((النحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ¹))، فهو هنا يقلل من قيمة النحو على حساب المنطق، ويقر بأنه لم يطلع عليه حتى، حين قال: "النحو لم أنظر فيه"، فرؤية متى للنحو تحمل تأثيراً كبيراً بأفكار الفلاسفة اليونانيين الذين اهتموا بالمعنى وأهملوا اللفظ، فهو يكتفي بأن يأخذ من اللغة العربية الأسماء والأفعال والحروف ليكون بها كلامه، أما الأفكار والمعاني فهو يستوردها من اليونان، وفي هذا بعض التحقير للغة الأم كونه يبقى ذو أصل عربي.

نخلص أخيراً إلى أن متى رغم عربيته إلا أنه متمسك بأفكار الفلاسفة والمناطقة اليونانيين بشكل كبير ورؤيته للنحو تقتصر على كونه مجرد ألفاظ لا غير، أما المنطق اليوناني عنده فهو ذلك العلم الذي يحمل المعنى ويقوم بإيصاله لمختلف الثقافات واللغات.

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص93.

الفصل الأول: الخطاب وصاحب الخطاب.

وفي الختام نستنتج أن السيرافي كان متمكنا في الإقناع باستخدامه لأساليب كثيرة مختلفة عكس متى الذي لم يكن متفاعلا ومقنعا كخصمه، فالسيرافي صاحب معرفة وثقافة واسعة مما جعله الفائز في المناظرة من خلال افحام متى وجذب الجمهور وخاصة الوزير إلى صفه، لكن هذا لا ينفي جهود متى ومحاولته الفوز واقناع الحضور، إلا أنه لم يكن ببراعة أبي سعيد لقلّة حججه وضعف أسلوبه الإقناعي في القضايا المطروحة.



الفصل الثاني:

البنية العامة

للمحاذثة و مكوناتها

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

تعرف التداولية على أنها علم جديد يهتم بدراسة اللغة أثناء الخطاب، إلى جانب إهتمامها بالأثر التفاعلي للكلام أي ذلك التفاعل الحاصل بين المتخاطبين، فقد اعتمد الدارسون على التداولية لتحليل الخطابات والمحادثات و فهم مقاصد الكلام، لكنها لا تركز على النص التخاطبي فحسب بل تهتم أيضا بالحياة الإجتماعية والتجارب التي مرّ بها المتخاطبين لأن لها دور كبير في استنباط واستنتاج مراد المتكلم من كلامه فلكل خطاب أو محادثة خصائص و سمات تميزها عن غيرها من المحادثات، فالمحادثة نشاط لغوي بين المتكلمين و كل شخصية لها دور تفاعلي أثناء الكلام ولكل محادثة سمات خاصة بها، لكن هنالك خصائص مشتركة لتحليل ذلك الخطاب المتمثلة في (التفاعل، الإقتصاد، مستويات الأدوار واستغراق المظاهر التداولية)، أما بالنسبة لمكونات المحادثة فقد اقترح "جاك موشر" و"كاترين أركيوني" و" تون فان ديك" مجموعة عناصر متمثلة في: التفاعل، المتوالية، التبادل، التدخل.¹

وفي هذا الفصل سيتم استخراج كل من خصائص ومكونات البنية العامة للمحادثة، وذلك من خلال اسقاطها على نموذج مناظرة "أبي سعيد السيرافي ومثى بن يونس" بعدها نوعا من أنواع المحادثة التي تتوفر فيها كل تلك الخصائص.

¹ رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 132.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

المبحث الأول: خصائص المحادثة.

تعتبر المحادثة خاصية اجتماعية تستلزم وجود متحدثين أو أكثر يتبادلان أطراف الحديث في صورة واقعية، مع وجوب إحترام خصائص المحادثة والمتمثلة في: "التفاعل، الإقتصاد، مستويات الأدوار واستغراق المظاهر التداولية"، التي سنسقطها على المناظرة باعتبارها نوعا من أنواع المحادثة، ولأن غايتنا من هذا التحليل هي الوصول إلى الخصائص التداولية للمحادثة.

المطلب الأول: التفاعل (interaction)

تعد المحادثة قضية من قضايا التداولية الأكثر عناية من طرف الدارسين لكونها تهتم بالجانب الإجتماعي والتواصلي ومن بين الباحثين الذين إهتموا بهذا الجانب نجد كل من "جاك موشلير، وكاترين أركيوني وتون فان ديك"، فقد اقترح هؤلاء مجموعة مكونات للمحادثة¹، نذكر منها: "التفاعل" الذي هو: ((سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين أو متزامنين))²، فالتفاعل يكون عادة بين أشخاص هم المسؤولون عنه كونهم هم من قاموا بتنشيط تلك الأحداث، ((فالتفاعل هو صورة من صور التواصل، وهو ذلك التأثير المتبادل بين المشاركين في عملية التحدث، وتعرّفه أركيوني بأنه: "الوحدة التوافقية التي تمثل إستمرارية داخلية مؤكدة (إستمرارية الجماعية المشاركة والإطار الزمني والمكاني، إضافة إلى المواضيع المقترحة) بينما تكون مقطوعة عما سبقها وما يليها"³، حيث يعمل التفاعل على الحفاظ على التواصل بين المشاركين أثناء الكلام، وهو الآلية المساعدة على تواصل الحديث و توالي المواضيع بين المتكلمين.

1/ المشاركون في التفاعل:

فيما يلي سنتعرّف على الجانب التفاعلي الحاضر في مناظرة أبي سعيد السيرافي ومثي بن يونس المتكونة من ثلاثة أطراف:

¹ رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص132.

² تون فان ديك : علم النص، 128.

³ عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/22432>,

01/03/2016، تم الاطلاع عليه يوم، 05/05/2024، على الساعة 14:39، ص 107.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

المشاركون	ابن الفرات	أبو سعيد السيرافي	متى بن يونس
عدد الأدوار	9	23	12

يكشف هذا الجدول بالتقريب عن مدى تفاعل الأدوار في المناظرة فنجد أن السيرافي كان أكثر الشخصيات حديثاً ويعتبر المسيطر في هذه المحادثة وذلك يعود لإتساع معرفته بأغلب المواضيع التي طرحت وإن الملاحظ لهذه المحاوره يرى أن "أبا سعيد السيرافي" كان الطرف المحرك لها من خلال طرحه للأسئلة على خصمه وكذا الإجابة عنها. وقد تحدّث السيرافي ثلاث و عشرين مرة كانت مقسمة بين خصمه متى بن يونس والوزير ابن الفرات.

أما بالنسبة للشخصية الثانية البارزة في هذه المناظرة نجد "متى بن يونس"، فقد برز دوره إثنا عشر مرة في حديثه مع السيرافي، ونلاحظ أن هذه الشخصية قد شاركت في الكلام وفي بعض الأحيان يمتنع عن الحديث لقصر معرفته في الموضوع المطروح فلا يجد إجابة ويكتفي بالسكوت، لكن هذا لا يمنع أن "متى" قد حاول الدفاع عن رؤيته وموضوعه وتقديم أمثلة وأدلة ليقتنع بها نظيره و الجمهور، ويبرهن لهم حاجتهم للمنطق اليوناني.

أما الشخصية الثالثة المتمثلة في "الوزير ابن الفرات"، لم يكن تفاعله في المناظرة مثل سابقه، فقد تحدث تسع مرات وكان جلّ حديثه مع السيرافي حول إمكانية مناظرته لمتى، ولم يتحدّث مع أبي بشر إلا مرة واحدة وكانت بأسلوب السخرية والإستهزاء، لكن متى لم يجبه على كلامه، وكان الوزير هو الطرف المسؤول لحدوث هذه المناظرة وهدفه منها إثبات قوة النحو وتغلبه على المنطق من خلال توكيل السيرافي بهذه المهمة لأنه يؤمن بقدرته ومعرفته الواسعة في مجال النحو وكذا امتلاكه ملكة الإقناع.

وسنشير فيما يلي الى أن توزيع المشاركات كان موزعا بطريقة ثنائية بين السيرافي ومتى والوزير ابن الفرات:

مدى التفاعل حسب الأدوار	حيز التفاعل
12	أبو سعيد السيرافي/ متى بن يونس
09	أبو سعيد السيرافي/الوزير ابن الفرات
مرة واحدة	الوزير ابن الفرات/ متى بن يونس

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

فبالنظر للجدول أعلاه نلاحظ أن توزيع المشاركات في الحديث لم يكن متساوي فكان الحديث الغالب في المحادثة بين متي وأبو سعيد السيرافي، وفي المرتبة الثانية من ناحية التوزيع يأتي حديث أبي سعيد مع الوزير، فقد كان حديث ابن الفرات عبارة عن تدخلات سطحية لتشجيع السيرافي والتقليل من شأن متي، أما بالنسبة للمرتبة الأخيرة نجد أن ابن الفرات قد وجه كلاما نحو متي في قوله ((يا ابن بشر أكان هذا في نحوك؟))¹، فهذا إستفهام غرضه التحقير والإستهزاء بمتي، فما كان عليه إلا السكوت.

2/ الإطار الزماني والمكاني للتفاعل:

تعدّ خاصيتي الزمان والمكان أحد أهم المؤشرات التي تلعب دورا قويا في بناء تصور عن المناظرة ((فقد لا يكون لهذا الإطار أثر كبير في المحادثة بحسب إختلاف حالات التواصل، لأن عملية التفاعل يمكنها أن تتفتح تماما على معطيات المقام حيث يستحيل على المشاركين وعلى المحلل الإستغناء عنها في بلورة صورة واضحة المعالم عن المحادثة، كما قد يقع أن يستغني الخطاب الفعلي في إطار التواصل عن تلك المعطيات نسبيا))²، فالإطار الزماني والمكاني رغم أهميته إلا أنه يمكن الإستغناء عنهما أحيانا أثناء المحادثة، لكن غالبا ما يكون حاضرا من أجل ربطه بمقام الخطاب.

ومما يظهر في هذا النموذج أن المكان الذي كانت فيه المناظرة هو مجلس الوزير ابن الفرات في بغداد، أما بالنسبة للزمن فقد انعقدت المناظرة سنة ستة وعشرين وثلاثمئة (326هـ).

3/ شكل التفاعل:

كما سبق وأن علمنا أن التفاعل هو خاصية إجتماعية تحقق التواصل بين المتحدثين، وأنه يتخذ عدة أشكال تختلف باختلاف موضوع الحديث ((قد يتخذ التفاعل أشكالا مختلفة بحسب موضوع الخطاب وطبيعة الأطراف المشاركين في العملية كالجدل والمناقشة والتعاون و غيرها من أشكال التعالق))³، وهذا ما نجده تكرر في نموذج المناظرة كالتالي:

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و الموانسة، ص 95.

² رزيق بوزغاية : كتاب التداوليات، ص 139.

³ المرجع نفسه، ص 139.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

أ/ الجدل:

يعدّ الجدل شكلا من أشكال التفاعل في المحادثة هدفه إسكات الخصم بالبرهان والأدلة، و((الجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة قال أفلاطون "الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب"))¹، هذا يعني أن للجدل آداب و قوانين يجب على المجادل أن يحترمها وأن يجادل بذكاء ويفهم خصمه ويقنعه بأدلة وبراهين مثلما فعل السيرافي مع مّتي، حيث كان يجادل الآخر بأسلوب راقى مع اعطاء أدلة ويكون متمسكا برأيه ومحاولا إنكار رأي الآخر، حيث قال سعيد: ((حدّثني عن المنطق ما تعني به؟... قال مّتي: أعني به أنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه، كالميزان، فإني أعرف به الرجحان من النقصان، والشائل من الجانح. فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف...))²، فالملاحظ هنا أن أبا سعيد يجادل مّتي ويحاول نفي رأي خصمه من خلال قوله "أخطأت"، لذا فالجدل شكل من أشكال التفاعل أثناء الحوار فيكون بين متجادلين أو أكثر يحاول كل منهما اثبات رأيه و نفي كلام الطرف الآخر.

ب/ المناقشة:

تعدّ المناقشة ((موقف يحدث فيه تبادل لفظي منظم، وتبادل للآراء والأفكار))³، فههدف النقاش هو تبادل المعلومات والأفكار دون جدل وتعصّب ويعتبر النقاش أحسن من الجدل، مثلما نرى في المناظرة حيث سأل السيرافي خصمه فقال: ((أسألك عن حرف واحد، ... وهو (الواو) ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبهت مّتي وقال: هذا نحو والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه...))⁴، نلاحظ هنا نقاش حول حكم الواو وجواب مّتي بأنه لا يفقه النحو وأنه منطقي بالدرجة الأولى ولا حاجة له للنحو، فكان نقاشا عاديا فكل طرف قد أبدى رأيه باحترام دون الحاجة للجدل والصراع حول الموضوع، أيضا هنالك نقاش حول قضية الترجمة فكل من السيرافي ومّتي قد أعطيا رأيهما حول هذه القضية

¹ جبل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، ج1، ط1، 1971م، ص 391.

² أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

³ المناقشة الصفية وأنواعها، نحو بيئة صفية تفاعلية، المناقشة الصفية <https://www.new-educ.com>، تم الاطلاع عليه يوم 2024/05/12، على الساعة: 21:36.

⁴ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 93.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

فكان هنالك نقاش في موضوع حفظ الأغراض والمعاني بالترجمة من لغة إلى لغة فأخذوا يتداولون في الحديث و يتناقشون و يتبادلون الآراء والأفكار.

ج/ التعاون:

يعرف التعاون على أنه مبدأ من مبادئ المحادثة أو الحوار ((يوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف المرسوم من الحديث الذي دخلا فيه وقد يكون هذا الهدف محدداً قبل تحولهما في الكلام أو يحصل تحديده أثناء هذا الكلام))¹، فهو مبدأ يتطلب وجوده أثناء الحوار من أجل بلوغ المراد و الهدف وهي إسهامات تكون بين متحدثين أو أكثر عن طريق تبادل الكلام للوصول لهدف معين ويقول جرابيس: ((جعل مساهمتك في المحادثة بحسب ما تتطلبه الحال أثناء المحادثة برعاية الغرض المقبول أو إتجاه تبادل الكلام الذي تشارك فيه))²، فنلاحظ في مناظرة أبي سعيد ومثى وجود التعاون بين الوزير ابن الفرات والسيرافي حيث قال الأول للثاني: ((تم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير؛ فإن الكلام إذا طال ملّ، فقال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك وبين الملل علاقة؛ فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر))³، إذن هناك تعاون ملحوظ بين الوزير والسيرافي، حيث أن أبو سعيد لم يشأ أن يشعر الوزير بالملل، فكان رد الآخر بأنه لم يشعر بالملل قط، فأكمل أبو سعيد في شرح المسألة وهنا يظهر عنصر التعاون الذي أدى إلى انسجام بين الشخصيتين محققاً خاصية التفاعل.

نخلص في الأخير أن التفاعل قد اتخذ أشكالاً عديدة تختلف باختلاف موضوع الحديث وباختلاف المتخاطبين فقد لاحظنا أن الجدل والنقاش كان بين أبي سعيد ومثى بسبب التناقض الحاصل في المواضيع والقضايا المطروحة بينهما، أما بالنسبة للسيرافي والوزير كان هنالك تعاون وإسهامات بينهما و تفاهم، وهذا التفاعل هو محرك المحادثة.

¹ طه عبد الرحمان: اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 288.

² روبري دي بوجراند: النص و الخطاب و الإجراء، تر: تمام حسان، ص 495.

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 96.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

المطلب الثاني: الإقتصاد.

يعد الإقتصاد الخاصية الثانية من خصائص المحادثة، والذي يكون حاضرا في أغلب الحوارات الواقعية ويعني الإقتصاد في البلاغة العربية: ((أن يكون المعنى المندرج تحت العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه مساويا له من غير زيادة فيكون إفراطا، ولا نقصان فيكون تقريبا))¹، فالإقتصاد يعني المساواة بين الكلام ومعناه أثناء التعبير، ويعتمد التفاعل المذكور سابقا على استعمال الإقتصاد أثناء المحادثة بطريقة تسمح بالتضافر بين المستعملين²، ويكون ذلك من خلال الحذف، الإحالة سواء كانت مقامية أو نصية والإضمار وغير ذلك، ويمكن أن نلاحظ تواجد هذه العناصر في نموذج المناظرة، وسنكتفي هنا بذكر أمثلة عن الإحالة:

تعتبر الإحالة أحد القرائن اللغوية التي تكون داخل النص بشكل من الأشكال الذي يساعد على نجاح عملية التواصل، أما عن مفهومها فقد أشار روبرت دي بوجراند الى أن الإحالة هي: ((العلاقة بين العبارات، وبين الأشياء و المواقف في العالم الخارج الذي تشير إليه العبارات"، ويعرفها كلارماير بأنها: "العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر الإحالة) وضماير يطلق عليها صيغ الإحالة"³، فالإحالة هي عنصر تواصل يربط بين المبهم ومرجعه، إما بالضماير أو أسماء الإشارة أو الأسماء الموصولة، ((وتنقسم الإحالة حسب هاليداي و رقية حسن إلى:

1. إحالة مقامية: وهي الإحالة إلى خارج النص أو الإحالة لغير مذكور، اذ تعتمد على السياق و الموقف الذي قيل فيه النص.
2. إحالة نصية: وهي إحالة واقعة داخل النص وتنقسم الى قسمين:
أ: إحالة قبلية: وهي الإحالة الى عنصر لغوي سبق ذكره أي أنها تعود إلى مفسر سبق التلفظ به.

¹ حمود مصعب، الحمد بوزان: الإقتصاد في التأثير على الحس النفسي للمتلقى في الحديث النبوي، مجلة البحوث العلمية و الدراسات الإسلامية، مج11، العدد02، 2019، ص 143.

² رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 139.

³ لغويني بوقراف، عرابي أحمد: مفهوم الإحالة و موقعها من التماسك النصي، مج10، عدد5، 2021، ص348.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

ب: إحالة بعدية: وهي تعرف بأنها نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير قبل مرجعه في النص السطحي¹، ومن أمثلة الإحالة في المناظرة قول متى بن يونس: ((لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه))²، فضمير الجمع الغائب "هم" في "لكنهم"، يعدّ إحالة قبلية لما سبقه من كلام، حيث جاء في قول السيرافي: ((فكأنك تقول: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه))³، فالقارئ لقول متى لن يفهم إلا إذا أحال كلامه إلى ما سبقه فيفهم ويتبين له أن الضمير "هم" يعود على اليونانيين، وهنا تكمن الإحالة و دورها في ربط عناصر النص.

و في مثال آخر نجد هناك إحالة بعدية في قول السيرافي: ((فكيف يجوز أن يكون ها هنا شيء يرتفع به هذا الإختلاف الطبيعي و التفاوت الأصلي؟))⁴ ، فاسم الإشارة " هذا" يحيل إلى مرجع أتى بعده و هو " الإختلاف الطبيعي".

أما عن الإحالة المقامية فقد وردت في بداية المناظرة حينما قال أبو حيان التوحيدي: ((لما انعقد المجلس))⁵، فكلمة " المجلس" تحيلنا الى مقام المناظرة و المكان الذي حدثت فيه وهو مجلس الوزير ابن الفرات.

وكل هذه الأمثلة إنما تشير إلى عنصر الإقتصاد الذي يكون حاضرا أثناء التفاعل في المحادثة من أجل ربط سياقات الحديث وكذا تجنب الإطناب و التكرار الزائدين.

المطلب الثالث: مستويات الأدوار.

إن المحادثة تختلف باختلاف المقام والأشخاص والمواضيع وكل محادثة تتميز بمبادئ وسمات تميزها عن الأخرى: ((فالمحادثة التي تكون بين الأصدقاء مثلا تتميز بخصائص تختلف عن تلك التي تتميز المحادثة بين رئيس ومرؤوس مثلا، أو بين والد و ابنه))⁶، فلكل

¹ سعيد عبد الحميد غائب: أثر الإحالة في اتساق النص رسائل الجاحظ أنموذجا، مجلة الأستاذ، عدد 220، 2017م/1438هـ، ص 36، 37.

² أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص92.

³ أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 92.

⁴ المرجع نفسه، ص93.

⁵ المرجع نفسه، ص 90.

⁶ رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 134.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

حوار أو حديث سمات تميزه عن غيره من الحوارات، فالحديث مع الأب لا يشبه حديث الصديق وصديقه أو المعلم وتلميذه.

وفي مناظرة السيرافي مع متّى نجد ثلاث شخصيات بارزة في المحادثة ولكل شخصية دور، حيث يختلف كل دور على الثاني من حيث حجم الخطاب وعدد الأدوار، ويمكن تمثيل هذه المستويات كالتالي:

الأول للسيرافي: الذي حاز على أكبر دور ومساحة في المناظرة، ويبدو من كلامه أنه صاحب معرفة واسعة وثقافة كبيرة حيث كان يوجه أسئلة لمتّى ثم يجيب عليها، كما أنه قد أظنّب في حديثه في مواضع معينة، التي كانت تستدعي الإطالة والتحدث كثيرا فلم يكن يكثر الكلام دون فائدة بل كانت للإستفادة من خلال طرح الأحكام والتعريفات.

الثاني لمتّى: هو أيضا حاز على دور كبير إلا أنه أقل من دور السيرافي بسبب قلة معرفته حول النحو ومع ذلك إلا أنه كان له نشاط وتفاعل بسبب اختلاف الآراء مع نظيره وله أفكار الخاصة به التي أخذها من الفلاسفة الذين تأثر بهم وهو ما كان واضحا في كلامه، كما نلاحظ أيضا إجاباته الموجزة والسريعة على أسئلة أبو سعيد.

الثالث للوزير: لم يحظ الوزير بدور كبير في المناظرة إلا أنه هو سبب بداية هذه المحادثة لأنه هو من طلب من أبو سعيد أن يناظر متّى فلاحظنا أنه هو من بدأ وإختتم المناظرة أيضا أن كلامه كان موجزا و مختصرا لأن دوره لا يتطلب الإطناب والإطالة في الكلام.

في الأخير نستنتج أن ترتيب المستويات يكون حسب حجم الخطاب وعدد الأدوار وحسب كثرة الكلام الذي يدلّ على الثقة التي يمنحها المخاطب لنفسه من معلومات وثقافة، مثلما رأينا مع السيرافي وأنه ليس بحسب المكانة الاجتماعية حيث نلاحظ أن ابن الفرات قد حاز على المرتبة الثالثة رغم أنه وزير ومكانته الاجتماعية مرموقة، إلا أنها لا تغيّر هذا الترتيب لأنه لم يتكلم كثيرا بل كان حديثه عبارة عن تدخلات، لذلك يجب توفر مؤشرات وخصائص في المخاطب من أجل التمييز بين المستويات.

المطلب الرابع: إستغراق المظاهر التداولية.

قد شهدت التداولية كونها علم جديد تطورا ملحوظا، فقد ركّزت على دراسة اللغة المستعملة بوصفها ظاهرة إجتماعية تواصلية، ومن أهم الظواهر التي إستغرقت التداولية في دراستها "المحادثة"، التي تحمل في جوفها العديد من المظاهر التي تعبر عنها وتقوم عليها،

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

فإذا نظرنا إلى نموذج "مناظرة أبي سعيد السيرافي ومثى بن يونس" نجده مبني على أغلب تلك المظاهر التداولية لكونه نوعاً من أنواع المحادثة، ولعلّ من أهم تلك المظاهر نذكر: الحجاج، أفعال الكلام، والانتقال من المعنى الظاهر إلى المعنى الضمني، وسأخذ عينة من المناظرة لكل مظهر من تلك المظاهر.

1/ الحجاج:

يعرف الحجاج بأنه آلية من آليات التداولية التي تكون حاضرة في المحادثة والنقاشات الواقعية، ((وتطلق لفظة حجاج ومحاجبة عند تيتيكا وبيرلمان على العلم وموضوعه ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات وأن تزيد في درجة التسليم، محاولة إذعان العقل لما يطرح عليه من أفكار))¹، فالحجاج يعدّ أحد العوامل التي تساعد على الإقناع والتأثير في المخاطب، ونجد هذه الآلية حاضرة بقوة في مناظرة "المنطق والنحو" فأساس تركيبها قائم على هذه الآلية، ومن أمثلة الحجاج في المناظرة نذكر قول السيرافي في بداية المناظرة: ((حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة))²، ليجيب مثى ((أعني به أنه آلة من آلات الكلام يعرف به صحيح الكلام من سقيمه))³، فقد قامت ((المناظرة على قطبين: القطب الأول يمثل مثى بن يونس، والقطب الثاني: أبي سعيد السيرافي فهما قطبا الحجاج وعليهما تقوم عملية التناظر تكلماً وتخطاباً))⁴، فكانت المناظرة على طولها عبارة عن أسئلة قدّمها السيرافي وأجوبة يقولها مثى، وفي كثير من الأحيان كان يعجز عن الإجابة ويكتفي بالصمت، فكان ذلك يحدث من خلال تقديم الحجج للطرف الآخر من أجل إقناعه والتأثير في آرائه ودحض الأفكار التي يريد نشرها عن المنطق من خلال التنازع والتضارب كلامياً بأسلوب السؤال والجواب، فكانت الكفة تميل في كل مرة إلى جهة السيرافي بسبب طريقته الحجاجية القوية والسليمة،

¹ نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2009م/1429هـ، ص 105، 106.

² ابو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

³ المرجع نفسه، ص 90.

⁴ رامي جميل سالم : آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمثى بن يونس القنائي "دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية و آدابها، مج10، عدد03، 2014م، ص389.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

على خلاف متى الذي كان موقفه الحجاجي غير كاف لإقناع الموجودين وقد ظهر ذلك في المناظرة من عبارتي "فبهت متى"، "فبلح وجنح وغصّ بريقه".

ومن الأمثلة الحجاجية الأخرى عندما سأل السيرافي متى عن حكم الواو وأجابه بقوله: ((هذا نحو والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق))¹، فكانت حجة "متى" هنا أنه ليس بحاجة للنحو وهو لم يطلع عليه لأن المنطق لا يرى بأن النحو سيخدمه أو سيضيف له، وكانت هذه الحجة ضده لا معه، لأنه بيّن للحضور بأنه يتحدث عن أمر لا يفقه فيه أصلاً ويقارنه بعلم المنطق. ليستمر السيرافي بمحاجة خصمه بحجج قوية وسديدة خلصت إلى تغلبه عليه والفوز بالمناظرة.

2/ أفعال الكلام:

للحديث عن أفعال الكلام يجب الإشارة إلى أنها مبدأ من مبادئ التداولية المهمة، وقد ظهرت هذه النظرية مع الفيلسوف أوستن ((وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية (Acteslocutoire) لتحقيق أغراض إنجازيه (Acte illocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخصّ ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول))²، فنظرية أفعال الكلام هي دراسة الأفعال التي ينتجها المتكلم فتتجز عملا ما لتؤثر في المتلقي إما بالقبول أو الرفض لأن غرضها الأساسي الإنجاز والتأثير. ومن أمثلة الأفعال الكلامية الحاضرة في المناظرة نجد:

أ. فعل الأمر: الذي ورد في قول السيرافي: ((دع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها وإصطلاحهم عليها...))³، ففعل الأمر "دع" بمثابة فعل إنجازي يريد من خلاله السيرافي أن يلفت إنتباه خصمه لترك القضية القديمة التي كانا يتناقشان فيها وينتبه لموضوع أو فكرة جديدة سيقدمها له. أما الفعل الكلامي الثاني الحاضر في المناظرة هو:

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 93.

² مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 40

³ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 91.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

ب. الوعيد: جاء في قول السيرافي: ((لست نازعا عنك حتى يصحّ عند الحاضرين أنك صاحب مخزقة وزرق))¹، فكلام السيرافي هنا يعدّ وعيدا وتهديدا موجها لمتّى بصريح العبارة، فهو يخبره بأنه لن يكفّ عن مواجهته وإحراجه أمام الحضور إلى أن يبيّن لهم بأنه لا يفقه شيئا وأن أفكاره مجرد مغالطات، فهذا الأسلوب سواء كان الأمر أو الوعيد يساهمان بشدة في التأثير على المتلقي والسامع على حدّ سواء، لهذا كانت أفعال الكلام أحد المبادئ التداولية البارزة في المحادثة وخصائصها.

3/ المعنى الضمني:

بما أن الموضوع الأساسي الذي أخذناه للدراسة هو المحادثة فإن الكلام عنها يقودنا رأسا للخصائص التي تحتويها اللغة أثناء استعمالها بين الأشخاص، ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة "الضمني" أو "المضمر"²، و مصطلح ((الضمني) (Implicite) ، وظّف عام 1488 من اللاتينية (Implicitus) بمعنى مخفي داخل المعنى أو التلميح دون تصريح))³، فالحديث عن المعنى الضمني يلزم تحديد كيفية معرفته والوصول إلى فهمه فالمعنى عامة ينقسم إلى جزئين ((معنى حقيقي ومعنى غير حقيقي، حيث يجب أن ننطلق من إفتراض مفاده أن العمود الأساس في التواصل هو أن الملفوظ لا يمكن أن يفهم دائما على حقيقته المصرّح بها، بل قد ينتج عنه معنى مجازي يتم التوصل إليه وإدراكه عن طريق عملية إستدلالية))⁴، فاللفظ الذي يقوم المتكلم بنقله لغيره قد يحمل داخله إما معنى حقيقي يفهم من سياق الكلام، أو معنى ضمني يفهم من خلال الإستدلال عليه، وبما أن المناظرة نموذج للمحادثة فقد حوت على بعض المعاني الضمنية التي يمكن تأويلها وفهمها ومن أمثلة ذلك قول السيرافي: ((ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه و يتخذوه قاضيا وحكما لهم و عليهم، ما شهد لهم به قبلوه

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 97.

² رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 135.

³ نغلا عن: رزيق Jean Dubois et autres: Dictionnaire étymologique. Larousse 2007, p416.

بوزغاية: كتاب التداوليات ، ص 136.

⁴ رنا بنت سعد بن عوض القحطاني: الإستدلال على المعاني الضمنية في استعمال التعبيرات الاصطلاحية حسب نظرية المبادئ الحوارية لغرايس دراسة تداولية، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مج 05، عدد 34، ص 870.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

وما أنكره رفضوه))¹، فكلام السيرافي هنا يحمل معنا ضمنيا يمكن الإستدلال عليه وتأويله من خلال النقاش السابق مع خصمه حول المنطق، ((فهذا الإعتراض من قبل السيرافي ينضوي على حجة لنتيجة ضمنية (مضمرة) هي أن العرب غير ملزمين بالنظر في المنطق واتخاذهم حكما لهم))²، فالسيرافي لم يواجه خصمه مباشرة بالفكرة التي يريد إيصالها له، وإنما قام بتقديم معنى ضمني يحمل الدلالة التي يريد المتكلم إيصالها.

نخلص في آخر هذا المبحث إلى أن المحادثة تحمل عدة خصائص تداولية براجماتية، تستلزم حضورها ووجودها في كل نص أو خطاب يحمل الصفات التداولية وهذا ما نجده متوفرا في المناظرة بعدّها مظهرا من مظاهر المحادثة الواقعية، من أجل التأثير والإقناع والوصول إلى هدف كل طرف.

المبحث الثاني: مكونات المحادثة

حاول بعض الدارسين في مجال تحليل الخطاب أن يحددوا بعض المكونات الأساسية إلا أنهم اختلفوا فيها: ((ومن أمثلة تلك الدراسات أعمال جاك موشر وكاترين أركيوني وتون فان ديك، فقد اقترح هؤلاء أن تتمثل مكونات المحادثة فيما يلي))³.

المطلب الأول: التفاعل (Interaction)

يعدّ التفاعل أحد مكونات المحادثة في مجال تحليل الخطاب ((فهو صورة من صور التواصل، وهو ذلك التأثير المتبادل بين المشتركين في عملية التحدث))⁴، فهو يتطلب وجود متحاورين لهم أدوار تفاعلية لتحقيق التواصل وتقول أركيوني أن ((التفاعل هو وحدة تواصلية، والتي تمثل جليا استمرارية داخلية "استمرارية مجموع المشاركين في اطار الفضاء التزامني Spatio-temporel وكذلك المواضيع المتطرق إليها"))⁵، بمعنى أن عنصر التفاعل

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص 91.

² رامي جميل سالم : آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي "دراسة تحليلية"، ص 291.

³ رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص 132.

⁴ عليك كايسة : بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص107.

⁵ حكيمة حمقه : المحادثة كممارسة لغوية: بحث في البنية و المفاهيم الأساسية، التأويل و تحليل الخطاب، العدد01، ماي 2020، ص 198.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

هو العنصر المهم في المحادثة لأنه يحقق التواصل والتعاون بين المشاركين فهو يضمن إستمرارية الحديث بطريقة متسلسلة منظمة محققا الافادة الجماعية لكل الاطراف.

قد ركّز الدارسون في موضوع التفاعل في المحادثة على نوع من التفاعلات وهي التفاعلات اللغوية التي تعدّ ((أساس المحادثات والكثير من الممارسات الإتصالية والتواصلية، مثل الإستجابات والمناقشات و الملتقيات العلمية وإجتماعات العمل وجلسات المحكمة والمناظرات السياسية))¹، والمناظرات العلمية وهذه الأخيرة هي ما يهمننا مثل مناظرة متّى والسيرافي والتي تعدّ من أهم المحادثات، حيث قاموا بهذا الحوار في مجلس الوزير ابن الفرات ببغداد ، بحضور مجموعة من الشخصيات والجماهير والتي كانت بين السيرافي ومتّى بن يونس، مع بعض التداخلات التي قام بها الوزير ابن الفرات، ولكل شخصية مكانة مهمة في هذا المجلس فابن الفرات يحظى بمكانة اجتماعية مرموقة فهو وزير بغداد، أما السيرافي فهو باحث وعالم في النحو وكان متأثرا بسببويه و يظهر ذلك من خلال المواضيع التي طرحها في المناظرة، أما متّى بن يونس فهو عالم في المنطق متأثر بالفلسفة اليونانية.

فرغم اختلاف الإهتمامات والأفكار بينهم إلا أنها تربطهم علاقة علمية معرفية، فكان ابن الفرات هو سبب هذا الحوار لأنه هو من طلب من السيرافي أن يناظر متّى بهدف الإستفادة، فكل شخص كان له فكر مهتم به، ولكل أسلوبه الخاص به، فأسلوب السيرافي كان شبيها بأسلوب المعلم حيث كان هو من يوجه الأسئلة ثم يقوم بتصحيحها لخصمه بعد أن يكون قد أجابه عنها، حيث كان جديا في معاملته ووثقا من كلامه.

كما نلاحظ التفاعل في تسلسل المواضيع بينهم، وطريقة بنائهم للقضايا المتطرق إليها أثناء عملية طرح السؤال عند السيرافي وإجابات متّى، فهذه العملية حققت التواصل بين الشخصيات، حيث يعتبر التفاعل ((الوحدة الكبرى في تتابع المحادثة، يتألف من متواليات، ويتشكل عبر ثلاث مراحل متتالية: الإفتتاح، الموضوع، و الإختتام. وتعتبر المرحلة الأولى والثانية مرحلتين مهمتين لإدراك مدى تحقيق المشاركين في المحادثة لبنيات تفاعلية))²، بمعنى أن المحادثة لتكون ناجحة يجب توفر ثلاث مراحل فيها لتحقيق التفاعل.

¹ حكيمة حمقه : المحادثة كممارسة لغوية: بحث في البنية و المفاهيم الأساسية، التأويل و تحليل الخطاب، ص 199.

² عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الاساسية، ص 107.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

فالإفتتاح كان مع ابن الفرات لأنه هو من أراد وجود شخص ما يناظر متى ويصح له أفكاره فقد قال متى أن المنطق هو الذي يبين لنا الصدق والوضوح والبيان واليقين من غموضه، فكان السيرافي ذلك الشخص الذي يناظره ليبرهن له باطل قوله فكان هنالك تفاعل بين ابن الفرات وأبو سعيد.

أما المرحلة الثانية هي الموضوع، وهو صلب المناظرة والذي يظهر فيه مدى تفاعل الشخصيات، حيث عالجا مواضيع مهمة من خلال طرح أبي سعيد لاستفهامات والأسئلة كثيرة موجّهة لنظيره ليتحقق ذلك التفاعل والتعاون بينهما، أيضا نجد التفاعل حاضرا في تبادل الآراء والأفكار من خلال نقاشاتهم وجدلهم الذي يساعد على تنشيط المحادثة و تفاعلها.

أما بالنسبة للمرحلة الأخيرة وهي الإختتام نلاحظ أن التفاعل فيها كان شبه غائب بسبب سكوت متى ، ومواصلة السيرافي الكلام في مواضيع مختلفة.

أخيرا نلاحظ أن عنصر التفاعل قد ظهر في المرحلتين الأولى والثانية بسبب اختلاف الآراء، أما في الإختتام فقد اكتفى متى بالسكوت لافتقاره للأجوبة، ليستلم السيرافي باقي المواضيع إلى غاية نهاية المناظرة.

المطلب الثاني: المتوالية (Séquence)

تعتبر المتوالية ثاني مكون من مكونات المحادثة التي حددها الدارسون حيث أنها تنظم الكلام وتعمل على بناء صحيح للمحادثة وتسمى أيضا بـ (المقطع) فقد عرّفته أركيوني بأنه: ((مجموعة تبادلات مرتبطة عن طريق درجة من الإنسجام الدلالي أو التداولي))¹، بمعنى أن الإنسجام الدلالي والتداولي هو معالجة الموضوع نفسه والتركيز على هدف واحد، فالمتوالية تحدد ذلك الإنسجام على حسب محتوى المحادثة عن طريق تقسيم التفاعلات إلى ثلاثة أقسام أساسية وهي كالاتي: ((متوالية الإفتتاح، هيكل التفاعل، متوالية الإختتام))² فعملية التقسيم هذه ليست بالأمر الهين والسهل لأنها قد لا تتوفر في جميع المحادثات كمنظرة أبي

¹ محمد حمراوي: تحليل المحادثة: البنية و نظام أدوار الكلام: نموذج للتحليل التداولي للتفاعلات اللغوية، مجلة ألف اللغة للإعلام و المجتمع، مج10، عدد02، مارس 2023، ص 738.

² عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها، ص 107.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

سعيد السيرافي ومثى بن يونس، لأنه عادة يكون القسم الأول والأخير من المقاطع السهلة في التحديد لأن لها مؤشرات واضحة يؤديها المتحدثين لفتح التواصل مثلا كالتصافح¹، أو إلقاء التحية إما يكون بالتواصل اللغوي أو غير اللغوي هذا في الافتتاح، أما بالنسبة للاختتام يكون فيها بعض العبارات الخاصة بالوداع و الاعتذار أو الافتراق... إلخ²، أي وجود ملامح لنهاية الحديث فعلى المتحدثين أن يحترموا بروتوكول المحادثة من خلال اتباع قوانين معينة تسهّل الفعل التواصلية ولتحقق ذلك الانسجام الدلالي والتداولي.

أما بالنسبة لمناظرتنا هذه نلاحظ غياب مؤشرات الإفتتاح لأن الوزير ابن الفرات قد بدأها بمخاطبة الجماعة الحاضرين في المجلس، من بينهم الخالدي، قدامة بن جعفر، علي بن عيسى، ابن الرشيد، السيرافي...³، حيث قال: ((ألا ينتدب منكم إنسان لمناظرة مثى في حديث المنطق...))⁴، فقد بدأها بمخاطبة هؤلاء العلماء وطلب منهم أن يناظر أحدهم مثى ويتناقش معه في قضية المنطق، فرفع السيرافي رأسه وقال: ((إعذر أيها الوزير، فإن العلم المصون...))⁵، لذا فهذه المناظرة تفتقر لملامح الإفتتاح المعتاد عليها في المحادثات، أما في هيكل التفاعل فهو عبارة عن مجموعة قضايا متسلسلة تشكل هيكلًا تواصلياً من خلال التفاعل القائم بين المشاركين عن طريق طرح أحد الأطراف لأسئلة، والطرف الآخر يجيب عنها أو تلك النقاشات حول الموضوع الذي كان محلّ خلاف كقضية المنطق، الترجمة، اللفظ والمعنى وغيرها من المواضيع التي كان فيها غموض وتشابك للآراء، فهذا القسم هو الوحدة الكبرى لإستمرار التواصل من خلال التأثيرات المتبادلة بين المتحدثين، والمرحلة الأخيرة هي مرحلة الإختتام والتي يتوجب فيها الإعلان عن نهاية الحديث باستعمال إعتذارات وعبارات وداع وفراق، لكي تتضح الصورة بأنهم قد وصلوا لنهاية الحوار أو الحديث، رغم هذا إلا أن مناظرتنا لم تتوفر فيها هذه الشروط فلم تكن لها نهاية واضحة، فبالنسبة لمثى بن يونس قد سكت فجأة ولم يفصح بشيء بعد ذلك رغم الأسئلة التي كانت موجهة له من طرف

1 حكيمة حمقه: المحادثة كممارسة لغوية بحث في البنية و المفاهيم الأساسية، ص 201.

2 عليك كايسة : بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 107.

3 أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 90 .

4 المرجع نفسه، ص 90.

5 المرجع نفسه، ص 90.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

السيرافي، أما السيرافي فقد أكمل الحديث في بعض المواضيع وكذا الحط من شأن أفكار متّى و اليونانيين بصفة عامة و الاستهزاء بهم.

إذا في هذه المناظرة نلاحظ وجود القسم الثاني فقط من التفاعلات وغياب كل من متواليّة الإفتتاح و متواليّة الإختتام، إلا أنه هنالك تفاعل واضح في القسم الثاني الذي بيّن وجود إنسجام دلالي و تداولي من خلال معالجة الموضوع والوصول الى الهدف الذي طمح له الوزير و السيرافي و هو التغلب على متّى و المنطق اليوناني بالنحو.

المطلب الثالث: التبادل (Échange)

يعدّ التبادل المكون الثالث من مكونات المحادثة وهو ((أصغر وحدة حوارية في التفاعل، الذي يتكوّن من شريكين تخاطبيين على الأقل، مع العلم أنه قد نجد في بعض الأحيان التبادل يتركب من تدخل واحد فقط))¹، فالتبادل علاقة مباشرة بمكوني المحادثة "التفاعل" و "التدخل". كما يظهر أن التبادل ((مبني على علاقات نصية بين دورين أو أكثر كالعلاقة بين السؤال وجوابه أو بين التحية وردّها وقد تنقطع سلسلته بمجرد أن يكتفي الرّد بالجواب فقط أو برّد التحية فقط))²، وقد ميّز قوفمان بين نوعين من التبادلات تتمثل في: ((أ. تبادلات تأكيدية (Confirmatifs): وهي الملائمة لتبادلات الإفتتاح والإختتام، وتتكون من تدخلات وظيفتها ذات طبيعة تعبيرية مثل التحيات.

ب. تبادلات إصطلاحية (Réparateurs): وتقوم فكرة التبادل الإصطلاحي أو النشاط الإصطلاحي على مبدأ إصلاح إهانة غير متعمدة.))³، فالتبادل اذا يكون بين شخصين على الأقل يتبادلان أطراف الحديث فإما أن يستمر ذلك التفاعل القائم ويتطور ليخرج إلى عدة مواضيع، أو أن ينقطع التبادل في بدايته حيث يقوم أحد الطرفين بإيقافه.

وقد كان مكون التبادل حاضرا على طول المناظرة ويظهر ذلك في بدايتها، عندما طلب الوزير ابن الفرات من الموجودين في مجلسه أن يتقدّم أحدهم لمواجهة متّى بن يونس، ليبدأ السيرافي بالتحدّث معه عن الموضوع وقبول الدعوة، ثم ينتقل الحديث ويصبح متبادلا دوريا بين السيرافي بطرحه للأسئلة و متّى بن يونس بإجابته عنها وهذا النوع من التبادل هو

¹ حكيمة حمقه: المحادثة كممارسة لغوية: بحث في البنية و المفاهيم الأساسية، ص199.

² رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، ص132.

³ عليك كايسة : بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 108.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

ما يسمى "بالتبادلات التأكيدية"، فكانت المناظرة تحوي عدة مواضيع مختلفة وتدخلات بين أطرافها ساعدت على نجاح وإستمرار التبادل، فقد تحدّث كل من الطرفين "أبي سعيد السيرافي ومثى بن يونس" حول المواضيع الآتية: المنطق، النحو، الترجمة، حكم الواو، اللفظ و المعنى، قضية الميراث... وغيرها من المواضيع الفرعية التي تناقشا فيها وتبادلا أطراف الحديث والنقاش عنها، ونذكر مثلا عن التبادل الذي حدث بين السيرافي ومثى: ((قال أبو سعيد السيرافي: حدّثني عن المنطق ما تعني به؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه وردّ خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة. قال مثى: أعني به أنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه وفساد المعنى من صالحه...))

فقال أبو سعيد: أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المؤلف والإعراب المعروف اذا كنا نتكلم بالعربية...¹، وهنا يظهر التبادل والتسلسل في طرح المواضيع والأسئلة لتستمرّ بهذا الشكل لآخر المناظرة.

نستنتج أخيرا أن التبادل من المكونات الخاصة بالمحادثة التي يتحكم فيها مستعملي الكلام فإما أن يقوموا بإنشاء مواضيع وتبادلات تحوي تفاعلات ومتواليات، وإما أن يقطع الحديث في بدايته ويتوقف، ولا يحظى بالإستمرار وتتشغل عملية التبادل.

المطلب الرابع : التدخل.

هو العنصر الرابع من عناصر مكونات المحادثة وهو ((الوحدة الأساسية التي ينبني عليها التبادل والتفاعل على حدّ سواء، تنتج من طرف متكلّم واحد، على خلاف التبادل الذي ينتجه شريكان في التفاعل، ويعرف على أنه مساهمة متكلم خاص في تبادل خاص))²، ويعدّ التبادل عند موشر ((أكبر وحدة أحادية الكلام مكونة للتبادل))³، فالتدخل يكون من نتاج شخص واحد وتقول أركيوني أنه ((لا يجب الخلط بينه وبين دور الكلام كما يظهر في بداية المحادثة مثل:

1 . السلام عليكم ! 2 . وعليكم السلام/ 3 . هل أنت بخير؟.

¹ أبو حيان التوحيدي: الإمتاع و المؤانسة، ص 90.

² حكيمة حمقة : المحادثة كممارسة لغوية بحث في البنية و المفاهيم الأساسية، ص 201.

³ رزيق بوزغاية : كتاب التداوليات، ص 132.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

4 . بخير/ و أنت؟ 5 . لا بأس... / أين تجري هكذا 6 . إلى السينما.

فهذه الأدوار الستة تتكون من أربع تبادلات ومكونة من تدخلين¹، فالتدخل هو المكون الذي يسمح بالمرور من موضوع لآخر وذلك من خلال علاقته بمكوّن التبادل، ويظهر هذا المكوّن في المناظرة التي بين أيدينا في العديد من المواضع، وذلك لما تحتويه من تبادلات عديدة لأن التدخل هو الوحدة الكبرى لهذا التبادل، ومن أمثله نذكر الحوار الذي جرى بين كل من السيرافي ومتّى وابن الفرات، حيث قال السيرافي: ((ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الاخوة، قال متّى: صحيح، قال فما تقول إن قال: زيد أفضل اخوته؟ قال متّى: صحيح، قال: فما الفرق بينهما مع الصّحة ، فبلح وجنح وغصّ بريقه.

فقال أبو سعيد : أفنتيت على غير بصيرة ولا إستبانة...

قال متّى: بين لي ما هذا التهجين؟.

قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة إستفدت...

قال ابن الفرات لأبي سعيد: تم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس...²، ففي هذه المحادثة نجد أربع تبادلات والتدخل كان حاضرا مرتين في قول متّى "بين لي ما هذا التهجين؟"، وفي قول ابن الفرات "تم لنا كلامك..." وذلك لاحتوائهما على أفعال كلامية موجهة، فقد ميّز موشلر بين نوعين من التدخل وهما: المعقد الذي يتكون من أكثر من فعل كلامي واحد والتدخل البسيط³، وفي هذه المحادثة نجد أن التدخل كان بسيط لاحتوائه على فعل كلامي واحد في كل منهما.

أخيرا نستنتج أن التدخل هو الوحدة المتحركة في التبادل ويحتوي على مجموعة أفعال

كلامية تتحكم فيه أما أن تكون معقدة أو بسيطة، وهنا يكمن الجانب التداولي للمحادثة.

¹ عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 109.

² أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة، ص 95 ، 96.

³ عليك كايسة: بنية المحادثة و مكوناتها الأساسية، ص 109.

الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة ومكوناتها.

نستنتج في الأخير أن للمحادثة خصائص ومكونات تحكمها وتساعد على بنائها لكي يكون التواصل فيها ناجحاً، وبذلك يتحقق عنصر التفاعل بين المتكلمين، وهذا ما يثبت وجود علاقة بين المحادثة والتداولية بعدّها قضية من قضاياها، فهي تحمل داخلها العديد من مكونات الدرس التداولي كأفعال الكلام والحجاج والإحالة و غيرها، وهذا ما يعرف بتحليل المحادثات.



الخاتمة

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث الموسوم بـ"مناظرة أبي سعيد السيرافي ومثي بن يونس -قراءة تداولية في خصائص المحادثة-" توصلنا إلى مجموعة نتائج ملخصة في النقاط الآتية:

1. تدرس التداولية اللغة والتجارب إلى جانب البيئة الإجتماعية والتعليمية والثقافية، فهي تهتم بكل ما يحيط بمقام المؤول، فهذا الأخير قد بنى لغته وأفكاره من الحياة الإجتماعية والمعرفية التي قد ترعرع فيها، لأن لها إسهامات في إستنتاج مقاصد المتكلم الظاهرة والخفية من كلامه.

2. كان إهتمام التداولية بالمحادثة لسبب رئيسي وهو توفرها على مظاهر وقضايا تداولية متمثلة في: أفعال الكلام، الحجاج، الإشارات، الإستلزام الحواري، إلى جانب وجود أشخاص حقيقيين يستعملون اللغة لضمان التواصل بينهم، وأن كل شخصية لها رؤى وأساليب خاصة تترجمها على شكل لغة لإقناع الطرف الآخر، إما في حديث عادي أو في حديث يحمل في طياته جدلاً يستدعي محاولة كسب المستمعين له.

3. تحوي المحادثة العديد من المظاهر التي تساهم في بنائها نذكر منها: الحجاج الذي يساعد في عملية إقناع المستمع من خلال تقديم حجج وأدلة للوصول للنتيجة المرجوة، أيضا نجد أفعال الكلام التي تعدّ أحد مبادئ التداولية التي تبرز في المحادثة وتتضمن العديد من الأفعال القولية التي تؤثر في المتلقي والسامع على حدّ سواء، كما نجد مجموعة من الإشارات التي تمثل وحدات لغوية داخل الخطاب وقد تكون ظاهرة أو مبهمة فيحدد معناها حسب المرجع، كالإحالات التي تنقسم إلى إحالة نصية وإحالة مقامية، أما عن المعنى الضمني فهو ملفوظ لا يمكن فهمه على حقيقته المصرح بها، بل نجد بين طياته معنى مجازي يدرك من خلال تأويل المؤول له عن طريق عملية الإستدلال.

4. إنّ المحادثة ظاهرة إجتماعية تتطلب وجود مجموعة من الخصائص المتمثلة في: التفاعل الذي هو صورة من صور التواصل بين المشتركين في الحديث ويشمل كل من: المشاركون في الحديث، والإطار الزمان والمكاني، وشكل التفاعل، كما يأخذ التفاعل أشكال مختلفة كالجدل والمناقشة و غيرها، أما عن الخاصية الثانية فتتمثل في الإقتصاد ويعني أن المتكلم أثناء عملية الكلام لا يستعمل الإطناب أو الإختصار بل يحاول أن يكون متوازنا ومقتصدا في عباراته ومن أمثله "الإحالة"، أما عن مستويات الأدوار فهي

الخاتمة

الخاصية التي تميّز دور كل متحدّث عن غيره، فحديث الطالب مع أستاذه لا يشبه حديث الابن مع والده، وآخر خاصية تتمثل في إستغراق المظاهر التداولية وهي التي تثبت العلاقة الموجودة بين التداولية والمحادثّة لما تحويه من قضايا برامجتية عديدة كالحجاج وأفعال الكلام.

5. انعقدت مناظرة "السيرافي ومثّى بن يونس" في مجلس الوزير ابن الفرات، سنة ست وعشرين وثلاثمئة، بحضور الوزير ومجموعة من العلماء وقد قامت بين عالمين: "عالم النحو السيرافي"، "وعالم المنطق مثّى بن يونس"، أين عالجت المناظرة أهم قضيتين هما "المنطق والنحو"، إضافة إلى قضايا أخرى كالترجمة واللفظ والمعنى والحساب والرياضيات وغيرها من المواضيع، فقد استعمل كل من الطرفين أساليب مختلفة لإثبات رأيهما وتبيان رؤيتهما ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر من خلال تقديم حجج وأدلة لتكون أكثر قوة، محاولة منهما الرّبح في هذه المناظرة.

6. استخدم السيرافي مجموعة من الأساليب والفنون ليدافع عن علم النحو، فقد تأثر بكتب سيوبيه والأصوليين والنحويين القدامى، فكانت له معرفة واسعة وشاسعة في هذا المجال، وهذا ما ساعده ليكون متفاعلا بطريقة واضحة في المناظرة وهذا لإيمانه بقدرته وثقافته حول القضية فكان دوره بارزا فيها حيث كان هو اليّد المحركة في المناظرة وساعده أيضا ثقافته في التّغلب لغويا على خصمه.

7. يعتبر مثّى بن يونس من أهم الشخصيات التي اهتمت بالفلسفة اليونانية عامة والمنطق الأرسطي خاصة، وهذا ما كان ظاهرا في ثنايا مناظرته وكلامه مع خصمه حيث بدا إهتمامه بهذه القضية ظاهرا على طول المناظرة بعدّها الموضوع الأساس الذي إنطلق منه هذا الجدل الكلامي، بسبب رؤية مثّى الراضة للنحو، فقد أعطى للمنطق اليوناني قيمة كبيرة وجعله الآلة التي تحكم الكلام، وهذه النظرة نجده قد استقاها من تأثره بالفلسفة والمنطق اليوناني، لذا كان يحاول جاهدا إقناع خصمه والجمهور الحاضر من خلال استخدامه لمجموعة أساليب تمثلت في: أسلوب الإقناع والمقارنة و كذا التمثيل، إضافة إلى القضايا التي طرحها والتي كانت تخدم تلك الرؤية، ويلاحظ أن أكثر أسلوب كان طاغيا عند مثّى هو "أسلوب الإقناع"، حيث حاول بشتى الطرق أن يوصل ذلك المنظور الذي سار على منواله ليؤثر في المستمعين و يقنعهم برؤياه.

الخاتمة

8. تعتبر هذه المناظرة وجها عاكسا للمحادثة فهذه الأخيرة تكون بين شخصيات حقيقية واقعية و هذا ما يميزها عن غيرها من الحوارات، حيث تحمل داخلها مجموعة خصائص يجدر توفرها في كل صورة عاكسة لها و هذا ما نلمسه في مناظرة " أبي سعيد السيرافي ومثى بن يونس"، حيث حوت على تلك الخصائص المتمثلة في التفاعل، الإقتصاد، مستويات الأدوار، واستغراق المظاهر التداولية، فلكل من هذه الخصائص دور بارز في إنجاح المحادثة وهو ما جعل من هذه المناظرة حاملة لكل تلك الخصائص والتي ساعدتها على النجاح.

9. للمحادثة مكونات تحكمها وتضمن بنائها تتمثل في: التفاعل، المتوالية، التبادل، والتدخل، وهي التي تساعد على نجاح عنصر التواصل بين المتكلمين وتمنح للمحادثة بعدها التداولي، حيث نجدها تستخدم داخل تلك المكونات العديد من قضايا التداولية مثل: الحجاج، وأفعال الكلام والإشارات وغيرها، وهذا ما يجعل من المحادثة قضية تداولية بحتة.



قائمة

المصادر المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ. المعاجم العربية:

1. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزّمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السّود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1992م.
2. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1971م.
3. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: قاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مج1، دط، 1429هـ/2008م.
4. محمد بن مكرم بن المنظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج11، ط3، 1994م.

ب. المراجع العربية:

1. أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، دط، 1432هـ/2011م.
2. أبو سعيد السيرافي: ضرورة الشعر، تح: رمضان عبد التّواب، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1405هـ/1985م.
3. أبي بشر عمرو بن عثمان بن عنبر: كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1408هـ/1988م.
4. أبي عبد المعز محمد علي فركوس: المنطق الأرسطي وأثر اختلاطه بالعلوم الشرعية، دار الرغائب والنفائس، ط1، 1427هـ/2006م.
5. باشا العيادي: فن المناظرة في الأدب العربي دراسة أسلوبية تداولية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2014م.
6. رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م.
7. الشنقيطي محمد الأمين: آداب البحث والمناظرة، تح: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، المملكة العربية السعودية، ج2، دط، دت.
8. الشّيخ محمد علي الصابوني: المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
9. صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النّص، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، دط، 1992م.

قائمة المصادر والمراجع

10. طه عبد الرحمان: الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث و النشر، بيروت_ لبنان، ط1، 2013م.
11. طه عبد الرحمان: الميزان واللسان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2006م.
12. عبد الرحمان بدوي: منطق أرسطو، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1، 1948م.
13. عبد العالي قادا: بلاغة الإقناع دراسة نظرية تطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016م/ 1437هـ.
14. عبد اللطيف سلامي: المدخل إلى فن المناظرة، مراجعة: حياة عبد الله معرفي، دار بلوميزيري -مؤسسة قطر للنشر-، الدوحة، قطر، ط1، 2014م.
15. عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف دار الأمان، الرباط/ المغرب، ط1، 1434هـ/ 2013م.
16. القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي: أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ملتزم للطبع و النشر شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1374هـ/ 1955م.
17. قيس اسماعيل الأوسي: أساليب الطلب عند النحويين، والبلاغيين، بيت الحكمة والنشر والترجمة والتوزيع، بغداد، دط، 1988م.
18. محمد حابر فياض: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط1، 1409هـ/ 1989م.
19. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1998م.
20. محمد محي الدين عبد الحميد: التحفة السننية بشرح المقدمة الأجرومية، دار الامام مالك للكتاب، طبعة جديدة مصححة، 1431هـ/ 2010م.
21. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2002م.

قائمة المصادر والمراجع

22. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
23. نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 1429هـ/2009م.
24. يحيى هويدى: ما هو علم المنطق؟ دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1966م.
- ج. المراجع المترجمة:
1. أمبارو أورتادو ألبير: الترجمة و نظرياتها مدخل إلى علم الترجمة، تر: علي ابراهيم المنوفى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2007م.
2. باتريك شارود ودومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط1، 2008م.
3. تون فان ديك: علم النص مدخل متعدد الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.
4. جرهارد هلبش: تطور علم اللغة، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2007م.
5. جيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة كلية معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون_ الجزائر، 1922م.
6. روبيردي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007م.
7. فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، ط1، دت.
8. فولفانج هاينه مان ديتير فيهقجر: مدخل إلى علم لغة النص، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.
9. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م.

قائمة المصادر والمراجع

د. المجلات والدوريات والرسائل:

1. حسين أحمد كتانة: حجاجية أسلوب التمثيل، كلية الآداب جامعة أهل البيت، مج 13، عدد 1، 2024م.
2. حكيمة حمقه: المحادثة كممارسة لغوية: بحث في البنية والمفاهيم الأساسية، التأويل وتحليل الخطاب، عدد 1، ماي 2020م.
3. حمود مصعب، الحمد بوزان: الاقتصاد في التأثير على الحس النفسي للمتلقي في الحديث النبوي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج 11، عدد 2، 2019م.
4. رامي جميل سالم: آليات الحجاج في مناظرة السيرافي لمتى بن يونس القنائي "دراسة تحليلية"، المجلة الأردنية في اللغة العربية و آدابها، مج 10، عدد 3، 2014م.
5. رسمية محمد الشراونة: أسلوب الشرط في خطب العرب ووصاياهم في كتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، مذكرة ماجستير، اشراف الأستاذ: يوسف حسن عمرو، جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا قسم اللغة العربية، 1427هـ/2006م.
6. رشا عبد الظاهر محمد سيد: أساليب الاقناع في مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس (دراسة بلاغية)، حولية كلية اللغة بنين بجرجا، جامعة الأزهر، مصر، عدد 25، ج5، 1442هـ/2021م.
7. رنا بنت سعد بن عوض القحطاني: الاستدلال على المعاني الضمنية في استعمال التعبيرات الاصطلاحية حسب نظرية المبادئ الحوارية لغرايس دراسة تداولية، حولية كلية الدراسات الإسلامية و العربية للبنات بالإسكندرية، مج 5، عدد 34، 2018م.
8. سعاد معمر شاوش: مفهوم المناظرة في الخطاب النحوي وآلياتها الاستدلالية -مناظرة الجرمي و الفراء في العامل المعنوي أنموذجا-، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج08، عدد05، الجزائر، 2019م.
9. سعيد عبد الحميد غائب: أثر الإحالة في اتساق النص رسائل الجاحظ أنموذجا، مجلة الأستاذ، عدد 220، 2017م/ 1438هـ.
10. سميرة حيدا: من أساليب العربية الاستفهام وأدواته مغني اللبيب أنموذجا، مجلة جولييات التراث، جامعة وجدة، المغرب، عدد 16، 2016م.
11. شريدي السعيد: الترجمة: التعريف بالمصطلح وعرض للنظريات، مجلة معالم، مج07، عدد10، 2018م.

قائمة المصادر والمراجع

12. عبد السلام حداد، فريدة العبيدي: الكفاءة التواصلية في الحوار الفلسفي، مناظرة السيرافي ومّتى بن يونس أنموذجا، مجلة الموروث، مج09، عدد02، ديسمبر2021م.
 13. عبد الوهاب صديقي: بلاغة المناظرة: مناظرة أبي سعيد السيرافي ومّتى بن يونس نموذجا، مجلة فصل الخطاب، مج 5، عدد 18، جوان 2017م.
 14. لغويني بوقراف، عرابي أحمد: مفهوم الإحالة وموقعها من التماسك النصّي، مج 10، عدد 5، 2021م.
 15. محمد حمراوي: تحليل المحادثة: البنية ونظام أدوار الكلام نموذج للتحليل التداولي للتفاعلات اللغوية، مجلة ألف: اللغة الإعلام والمجتمع، مج 10، عدد 2، مارس 2023م.
 16. محمد سيد محمد أبو العلا: المنطق المفهومي تعريفه وعلاقته بالمعنى، كلة الآداب جامعة بور سعيد، مجلة بحوث كلية الآداب.
 17. اليزيد سلطان: علاقة اللفظ بالمعنى عند المحدثين، مجلة المعيار، مج 25، عدد 59، 2021م.
- هـ. المراجع الأجنبية:

1. Charles S . Peirce : What Pragmaticisms is , The Monist 15/2 , April , 1905.
نقلا عن: رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات
2. Jean Dubois et autres : Dictionnaire étymologique Larousse, 2007, نقلا عن:
رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات

و. المواقع والدوريات الإلكترونية:

1. المرسال أنواع الواو في النحو و الفرق بينهما بالأمثلة،
<https://www.almsal.com/post/999719>
2. الخامس مفيد: جدل النحو والمنطق في التراث العربي مناظرة السيرافي ومّتى أنموذجا،
الرافد مجلة إلكترونية ثقافية شاملة، دائرة الثقافة حكومة الشارقة، دولة الامارات العربية
المتحدة، 1سبتمبر 2020.
3. ويكيبيديا الموسوعة الحرّة، مّتى بن يونس <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
4. عليك كايسة: بنية المحادثة ومكوناتها الأساسية،
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/22432>.

قائمة المصادر والمراجع

5. المناقشة الصفية وأنواعها، نحو بيئة صفية تفاعلية، المناقشة الصفية

<https://www.new-educ.com/>



المحقق

مناظرة أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى بن يونس:

لما انعقد المجلس سنة ست وعشرين وثلاثمائة، قال الوزير ابن الفرات للجماعة - وفيهم الخالدي وابن الأخشاد والكتبي وابن أبي بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة بن جعفر والزهري وعلي بن عيسى الجراح وابن فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب آل سامان: ألا ينتدب منكم إنساناً لمناظرة متى في حديث المنطق، فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين، إلا بما حوينا من المنطق وملكانه من القيام به واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده، فاطلنا عليه من جهة اسمه على حقائقه؟ فأحجم القوم وأطرقوا. قال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته وكسر ما يذهب إليه، وإنني لأعُدكم في العلم بجازاً، وللدِين وأهله أنصاراً وللحق وطلابه منازراً، فما هذا الترامز والتغامز اللذان تجلّون عنهما؟! فرجع أبو سعيد السيرافي رأسه فقال: أعذر أيها الوزير، فإن العلم المصون في الصدر غير العلم المعروف في هذا المجلس على الأسماع المصيخة والعيون المحدقة والعقول الحادة والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء والحياء مغلبة، وليس البراز في معركة خاصة كالمصاع في بقعة عامة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار في نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما رسمه هُجنة، والاحتجاز عن رأيه إخلاد إلى التقصير، ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن المعونة في الحرب والسلم! ثم واجه متى [فقال:] حدثني عن المنطق ما تعني [به]؟ فإننا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة.

قال متى: أعني به أنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفساد المعنى من صالحه، كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح. فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية، وفساد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل. وهَبْكَ عرفتَ الراجح من الناقص من طريق الوزن، فمن لك بمعرفة الموزون أيما هو

الملحق

حديد أو ذهب أو شَبَه [أو رصاص]؟ فأراك بعد معرفة الوزن فقيرًا إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدُّها. فعلى هذا لم ينفكك الوزن الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك، إلا نفعًا يسيرًا من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، فأنت كما قال الأول: حفظت شيئًا وغابت عنك أشياء وبعد، فقد ذهب عليك شيء هاهنا، ليس كلُّ ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يوزن وفيها ما يُكَّال وفيها ما يُذرع وفيها ما يُمسح و[فيها ما] يُحزَّر، وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئية فإنه على ذلك أيضًا في المعقولات المقررة. والإحساسات ظلال العقول تحكيها بالتقريب والتبعيد، مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة. ودع هذا، إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، فمن أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه ويتخذوه قاضيًا وحكمًا لهم وعليهم، ما شهد لهم به قبلوه وما أنكروه رفضوه؟

قال متى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث عن الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة والسوانح الهاجسة. والناس في المعقولات سواء، ألا ترى أن أربعة وأربعة [ثمانية] سواءً عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شُعبها المختلفة وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة وأنها ثمانية؛ زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا، ولقد مؤهت بهذا المثال، ولكم عادة بمثل هذا التمويه. ولكن مع هذا أيضًا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمنا الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال: نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضوع: بلى. قال: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا. قال: أنت إذن لست تدعونا إلى علم المنطق، إنما تدعونا إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تقي بها، وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريقها؟ على أنك تنتقل من السريانية، فما تقول في معانٍ متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغةٍ أخرى سريانية، ثم من هذه إلى أخرى عربية؟

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها فإن الترجمة حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق.

الملحق

قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها [ما] التائت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام ولا [بأخص الخاص ولا] بأعم العام — وإن كان هذا لا يكون، وليس هو في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني — فكأنك تقول: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه.

قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا [ونشأ ما نشأ] من أنواع العلم وأصناف الصنائع، ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت وملت مع الهوى، فإن علم العالم مبثوث في العالم بين جميع من في العالم، ولهذا قال القائل: العلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محتوث.

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جدد الأرض. ولهذا غلب علم في مكان دون علم، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة من بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة والفتنة الظاهرة والبنية المخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا لما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا، وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت من جواهرهم وعروقهم. وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه لهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء، ويعلمون أشياء ويجهلون أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال وسيئون في أحوال. وليس واضح المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عن قبله كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير، وله مخالفون منهم ومن غيرهم. ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه؟ [هيهات!] هذا محال، ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان عليه قبل منطقه، فامسح وجهك بالسלוطة عن شيء لا يستطيع، لأنه منعقد بالفطرة والطباع. وأنت لو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها وتدارس أصحابك

الملحق

بمفهوم أهلها وتشرح كتب يونان بعبارة أصحابها؛ لعلمت أنك غني عن [معاني يونان كما أنك غني عن لغة] يونان.

وها هنا مسألة تقول: إن الناس عقولهم مختلفة، وأنصباؤهم منها متفاوتة. قال: نعم. قال: وهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو بالاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون ها هنا شيء يرتفع به هذا الاختلاف الطبيعي والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً. قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع وبيانٍ ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطوطاليس الذي تُدَلُّ به وتباهي بتفخيمه؛ وهو «الواو»، ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبُهِتَ متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى [والنحو يبحث عن اللفظ]، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن الكلام والنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإبانة والحديث والإخبار والاستخبار والعرض [والتمني] والنهي والحض والدعاء والنداء والطلب، كلها من وادٍ واحد بالمشاكلة والمماثلة، ألا ترى أن رجلاً لو قال: «نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح، أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ»؛ لكان في جميع هذا محرِّفاً ومناقضاً وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً اللفظ على غير شهادة [من] عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، لأن الزمان يقفو أثر الطبيعة [بأثر آخر من الطبيعة]، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأن مستملى المعنى عقل، والعقل إلهي ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها وألتك التي تُرْهِى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتُعار، ويسلم لك ذلك بمقدار، وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، فلا بد لك أيضاً من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة واجتلاب الثقة والتوقي من الخلة اللاحقة.

الملحق

فقال متى: يكفيني من لغتكم هذه الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان.

قال [أبو سعيد]: أخطأت، لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات، وهذا باب [أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة. على أن ها هنا سرًّا ما علق] بك، ولا أسفر لعقلك، وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغةً أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقتها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها، ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره. وما أظن أحدًا يدفع هذا الحكم أو يشك في صوابه ممن يرجع إلى مُسكّة من عقل أو نصيبٍ من إنصاف، فمن أين يجب أن تثق بشيء تُرجم لك على هذا الوصف؟ بل أنت إلى تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى تعرف المعاني اليونانية. على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن اللغات تكون فارسية وعربية وتركية، ومع هذا فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزر على العربية وأنت تشرح كتب أرسطوطاليس بها مع جهلك بحقيقتها؟

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها [والبحث عنها] حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفت بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي والاعتقاد والاجتهاد. ما تقول له؟ أتقول: إنه لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لا يعرف هذه الموجودات من الطريق التي عرفت أنت؟ ولعلك تفرح بتقليده لك — وإن كان على باطل — أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق، وهذا هو الجهل المبين والحكم المشين.

ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأنت تجهل حرفاً واحداً في اللغة التي تدعو بها إلى حكمة يونان، ومن جهل حرفاً أمكن أن يجهل حرفاً، ومن جهل حرفاً جاز أن يجهل اللغة بكاملها، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج إليه، وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير. فلم يتأبى على هذا ويتكبر، ويتوهم

الملحق

أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة وخفي القياس وصحيح البرهان؟

وإنما سألتك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها، وطالبتُك بمعانيها ومواقعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؟ سمعتكم تقولون: إن «في» لا يعرف النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي «للوعاء» كما [يقولون:] «إن الباء للإصاق»، وإن «في» تقال على وجوه: يقال: «الشيء في الإناء» و«الإناء في المكان» و«السائس [في السياسة]» و«السياسة في السائس».

أترى أن هذا التشقيق هو من عقول يونان ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يُعقل هذا بعقول الهند والترك والعرب؟ فهذا جهلٌ من كل من يدعيه، وخطأٌ من القول الذي أفاض فيه. النحوي إذا قال «في» للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير وهو كافٍ في موضع التكنية.

فقال ابن الفرات: أيها الشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع «الواو» حتى تكون أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع هذا فهو مشنّع به.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: «أكرمت زيداً وعمراً.» ومنها القسَم في قولك: «والله لقد كان كذا وكذا.» ومنها الاستئناف في قولك: «خرجتُ وزيد قائم»، لأن الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رُبِّ التي هي للتقليل نحو قولهم:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

ومنها أن تكون أصلية في الاسم، كقولك: واصلٌ واقدٌ واقدٌ، وفي الفعل كذلك كقولك: وجَلَّ يَوجَلُّ، ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله عز وجل: فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ، أي ناديناه، ومثله قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي

المعنى: انتحي بنا، ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا، أي يكلم الناس في حال كهولته، ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر، كقولك: استوى الماء والخشبة، أي مع الخشبة.

فقال ابن الفرات [لمتّى]: يا أبا بشر: أكان هذا في نحوك؟

الملحق

ثم قال أبو سعيد: دع هذا، ها هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: «زيد أفضل الإخوة»؟ قال: صحيح. قال: فما [تقول إن قال: «زيد أفضل إخوته»؟ قال: صحيح. قال: فما] الفرق بينهما [مع الصحة]؟ فبلح وحنح وغص بريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة؛ المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها، والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها.

قال متى: بين لي ما هذا التهجين؟

قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة استقدت، ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبس مع من عادته التمويه والتشبيه، والجماعة تعلم أنك أخطأت فلم تدعي أن النحوي إنما ينظر في اللفظ دون المعنى والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقي كان يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد بالوهم السانح والخاطر العارض والحس الطارئ، فأما وهو يريد أن يبرر ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه وموافقاً لقصده. قال ابن الفرات لأبي سعيد: تم لنا كلامك في شرح المسألة حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيئ عاملاً في نفس أبي بشر.

فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال مل. فقال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك وبينى وبين المل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر.

فقال أبو سعيد: إذا قلت: «زيد أفضل إخوته» لم يجز، وإذا قلت: «زيد أفضل الإخوة» جاز، والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج عن جملتهم. والدليل على ذلك أنه لو سأل سائل فقال: «من إخوة زيد؟» لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد [وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد] ولا يدخل زيد في جملتهم، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول: أفضل إخوته، كما لم يجز أن تقول: «إن حمارك أفره البغال»، لأن الحمير غير البغال، كما أن زيداً غير إخوته. فإذا قلت: «زيد خير الإخوة» جاز، لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره فهو بعض الإخوة، ألا ترى أنه لو قيل: «من الإخوة؟»

الملحق

عددته فيهم فقلت: «زيد وعمرو وبكر وخالد»، فيكون بمنزلة قولك: «حمارك أفره الحمير» لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير؟ فلما كان على ما وصفنا جاز أن يُضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس، فنقول: «زيد أفضل رجل» و«حمارك أفره حمار»، فيدلُّ «رجل» على الجنس كما دلَّ الرجال، وكما في «عشرين درهماً ومائة درهم». فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جلَّ علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الإسفار.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاع شيء عن هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عنهم، وكل ذلك محصور بالتتابع والرواية والسماع والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تُعرف ولا تُستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم، فترجموا لغةً هم فيها ضعفاء ناقصون، وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادَّعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال: أما تعرف يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب، وتقول بالمثل: «هذا ثوب»، والثوب اسم يقع على أشياء بها صار ثوباً، لأنه نُسجَ بعد أن غُزل، فسدائه لا تكفي دون لُحمته ولُحمته لا تكفي دون سدائه، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ورقَّة سلُكهِ كرقَّة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كلُّه ثوب، ولكن بعد تقدمة كلِّ ما يُحتاج إليه فيه.

قال ابن الفرات: سلّه يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلاً ما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي [لا] يبصره.

قال أبو سعيد: ما تقول في رجل يقول: «لهذا عليّ درهم غير قيراط، ولهذا الآخر عليّ درهم غير قيراط»؟ قال: ما لي علم بهذا النَّمط. قال: لست نازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة ورزق، ها هنا ما هو أخف من هذا؛ قال رجل لصاحبه: «بكم الثوبان

الملحق

المصبوغان؟» وقال آخر: «بكم ثوبان مصبوغين؟» وقال آخر: «بكم ثوبان مصبوغين؟»
بيّن هذه المعاني التي تضمّنّها لفظ لفظ.

قال متى: لو نثرث أنا أيضًا عليك من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي.

قال [أبو سعيد]: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصحّ لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقًا أو مخالفًا، وإن كان غير متعلّق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على وضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضًا، لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة في لغة مقرّرة بين أهلها. ما وجدنا لكم إلا ما استعرت من لغة العرب [كالسبب والآلة] والسلب والإيجاب والموضوع والمحمول والكون والفساد والمهمّل والمحصور، وأمثلة لا تتفع ولا تُجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهاة أذهب.

ثم أنتم هؤلاء في منطقتكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة، فتدعون الشعر ولا تعرفونه وتذكرون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: «الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان»، فإن كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟ وإن كانت الحاجة قد مسّت إلى ما قبل البرهان فهي أيضًا ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنّف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ هذا كله تخليط وزرق وتهويل ورعد وبرق.

وإنما بؤدكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزاً، وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأينية والماهية والكيفية والكمية والذاتية والعرضية والجوهرية والهوليّة والصوريّة والأيسية واللّيسية والنفسية، ثم تتناولون فتقولون: «جننا بالسحر» في قولنا: «لا» في شيء من «ب» و«ج» في بعض «ب»، ف «لا» في بعض «ج» و«لا» في كل «ب» و«ج» في كل «ب»، فإن «لا» في كل «ج»، هذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص.

وهذه كلها خرافات وثرّهات، ومغالق وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقّب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز ولطف النظر وثقوب الرأي وإنارة النفس من منائح الله الهنيّة، ومواهبه السنّية، يختص بها من يشاء من عباده. وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهًا، وهذا الناشئ أبو العباس قد

الملحق

نَقَضَ عليكم وتتبع طريقتكم، وبيّن خطأكُم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدرُوا إلى اليوم أن تردوا عليه [كلمة واحدة] مما قال، وما زدتُم على قولكم: لم يعرف غرضنا ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم. وهذا منكم تحاجزٌ ونكول ورضى بالعجز وكُلول، وكلُّ ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض؛ هذا قولكم في «يفعل وينفعل» لم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتُم فيهما بوقوع الفعل من «يفعل» وقبول الفعل من «ينفعل»، ومن وراء ذلك غاياتٌ خفيّةٌ عليكم، ومعارفٌ ذهبّت عنكم، وهذا حالكم في الإضافة.

فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره؛ فليس لكم فيه مقال و[لا] مجال.

وأنت إذا قلتَ لإنسان: «كن منطقيًّا»، فإنما تريد: كن عقليًّا أو عاقلًا أو اعقل ما تقول، لأن أصحابك يزعمون أن النطق هو العقل، وهذا قولٌ مدخولٌ لأن النطق على وجوه أنتم عنها في سهو.

وإذا قال لك آخر: «كن نحوياً لغوياً فصيحاً»، فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رُم أن يفهم عنك غيرك.

وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضّل عنه، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه. هذا إذا كنتَ في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرّش المعنى وبسط المراد فاجلّ اللفظ بالروادف الموضّحة، والأشباه المقرّبة، والاستعارات الممتعة، وبيّن المعانيّ بالبلاغة، أعني لوخّ منها لشيء حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه عزّ وحلا، وكرم وعلا. وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري [فيه] أو يتعب في فهمه أو يعرّج عنه لاغتماضه، فهذا المذهب يكون جامعاً لحقائق الأشباه ولأشباه الحقائق، وهذا بابٌ إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أني لا أدري أيؤثر فيك ما أقول أو لا.

ثم قال: حدّثنا هل فصلتم [قط] بالمنطق بين مختلفين، أو رفعتُم الخلاف بين اثنين؟ أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالثُ ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله؟ هيهات، ها هنا أمور ترتفع عن دعوى أصحابك وهديانهم، وتيقن عن عقولهم وأذهانهم.

الملحق

ودع هذا، ها هنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقتك:

قال قائل: «لفلانٍ مِنَ الحائِطِ إِلَى الحائِطِ» ما الحكم فيه؟ وما قَدْرُ المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائِطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له [النصف من كلِّ منهما]. وقال آخرون: له] أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأنى لك بهما؟ وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك.

ودع هذا أيضاً، قال قائل: «مِن الكلام ما هو مستقيم حَسَن، ومنه ما هو مستقيم محال، ومنه ما هو مستقيم قبيح، ومنه ما هو محال كذب، ومنه ما هو خطأ.» فسر هذه الجملة، واعترض عليه عالم آخر، فاحكم أنت بين هذا القائل والمعترض وأرنا قوَّة صناعتك التي تميز [بها] بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل. فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعتُ مقالته، والآخر لم أحصل اعتراضه؟ قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحقَّ منهما، لأن الأصل مسموع لك حاصلٌ عندك، وما يصحُّ به أو يرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا فإن هذا لا يخفى على [أحد من] الجماعة.

فقد بان الآن أن مرگب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل، والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أيِّ لغة كان أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به، وينصب عليه سُوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج ولا شيئاً من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحقَّ بالباطل، ويشبه الباطل بالحق. وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بعد المنطق.

وأنت لو عرفت تصرف العلماء والفقهاء في مسائلهم، ووقفت على غورهم في نظرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنائيات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة؛ لحققت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتابَعوا عليه أقلَّ في عينك من السُّها عند القمر، ومن الحِصا عند الجبل. أليس الكنديُّ وهو علم في أصحابك يقول في جواب مسألة «هذا من باب عدّ.» فعَدَّ الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا

الملحق

الشكل وغالطوه بها وأرّوه أنها من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو] مريض العقل، فاسد المزاج، حائل الغريزة، مشوّش اللب.

قالوا له: أخبرنا عن اضطكاك الأجرام وتضاعط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب الفُقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟ وقالوا له أيضًا: ما نسبة الحركات الطبيعية إلى الصُور الهَيُولَانِيَّة؟ وهل هي مُلابسة للكِيان في حدود النظر والبيان، أو مُزايلة له مُزايلة على غاية الإحكام؟


وقالوا له: ما تأثير فُقدان الوجودان في عدم الإمكان عند امتناع الواجب من وجوبه في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله؟

وعلى هذا فقد حُفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الرّكاكة والضعف [والفساد] والفَسالة والسُخْف، ولولا التوقّي من التطويل لسردتُ ذلك كلّه. ولقد مر بي في خطّه: التفاوت في تلاشي الأشياء غير مُحاطٍ به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول والاتفاق في الفروع، وكلّ ما يكون على هذا النَّهَج فالنّكرة تزام عليه المعرفة والمعرفة تناقض النكرة. على أن النكرة والمعرفة من باب الألبسة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال البشرية.

ولقد حدثنا أصحابنا الصابئون عنه بما يُضحك النَّكَلَى ويُسْمِتُ العدو ويُعَمُّ الصديق، وما وَرِثَ هذا كلّه إلا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق، ونسأل الله عصمة وتوفيقًا نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل والفعل الجاري على التعديل، إنه سميع مجيب!

هذا آخر ما كتبتُ عن علي بن عيسى الرُّمَّاني الشيخ الصالح بإملائه. وكان أبو سعيد قد رَوَى لَمَعًا من هذه القصة.

وكان يقول: لم أحفظ عن نفسي كلّ ما قلتُ، ولكن كتب ذلك أقوامٌ حضروا في ألواح كانت معهم ومحابرٌ أيضًا، وقد اختلَّ عليّ كثير منه.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	المحتويات
/	بسملة
/	شكر وعرهان
04-01	مقدمة
21-06	مدخل: مفاهيم أساسية في التداولية و المحادثة.
10-07	1. التداولية.
07	1.1 مفهوم التداولية في المعاجم العربية.
09-07	2.1 التداولية في الدرر الحديث.
10-09	3.1 التداولية عند العرب المحدثين.
10-17	2. المحادثة موضوعا للتداولية.
11	1.2 مفهوم المحادثة في المعاجم العربية.
14-11	2.2 المحادثة وتحليلها في الإصطلاح.
17-14	3.2 بين المحادثة والمناظرة.
21-17	3. تطور تحليل المحادثة وخصائصه.
18-17	1.3 نشأة تحليل المحادثة و تطوره.
19-18	2.3 خصائص المحادثة.
21-19	3.3 قضايا المحادثة.
49-22	الفصل الأول: الخطاب و صاحبها الخطاب.
39-23	المبحث الأول: دراسة في مرجعيات الخطاب عند أبي سعيد السيرافي.
25-23	المطلب الأول: حياة أبي سعيد السيرافي.
32-25	المطلب الثاني: قضايا المناظرة عند السيرافي.
39-32	المطلب الثالث: أساليب ورؤية السيرافي في المناظرة.
49-39	المبحث الثاني: دراسة في مرجعيات الخطاب عند مئى بن يونس.
40-39	المطلب الأول: حياة مئى بن يونس.
43-40	المطلب الثاني: قضايا المناظرة عند مئى بن يونس.

فهرس الموضوعات

49-43	المطلب الثالث: أساليب ورؤية متى بن يونس في المناظرة.
68-50	الفصل الثاني: البنية العامة للمحادثة و مكوناتها.
62-51	المبحث الأول: خصائص المحادثة.
55-51	المطلب الأول: التفاعل (interaction)
57-55	المطلب الثاني: الإقتصاد.
58-57	المطلب الثالث: مستويات الأدوار.
62-58	المطلب الرابع: إستغراق المظاهر التداولية.
68-62	المبحث الثاني: مكونات المحادثة.
64-62	المطلب الأول: التفاعل (Interaction)
66-64	المطلب الثاني: المتوالية (Séquence)
67-66	المطلب الثالث: التبادل (Échange)
68-67	المطلب الرابع : التدخل
72-70	الخاتمة
79-74	قائمة المصادر والمراجع
92-80	الملحق
II-I	فهرس المحتويات